الدكتور أرجمند كوران

عميد كلية الآداب

جامعة - أنقرة - تركيا

السياسة العثمانية

تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر (1827-1847)

يلي ذلك

دراسة عن الحاج أحمد باي قسنطينة

طبعة ثانية منقحة ومزيدة

نقله عن التركية

الدكتور عبد الجليل التميمي

تونس

الدكتور أرجمند كوران
عميد كلية الآداب
جامعة أنقرة - تركيا

السياسة العثمانية

تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر (1827-1847)

يلي ذلك

دراسة عن الحاج أحمد باي قسنطينة

طبعة ثانية منقحة ومزيدة

نقله عن التركية

الدكتور عبد الجليل التميمي

تونس

الطبعة الثانية ـ 1974 ـ

كلمـــة الطبعـــة الثانيـــة

منذ ثلاث سنين صدرت الطبعة الأولى لهاته الدراسة الجامعية ضمن مطبوعات كلية الآداب بالجامعة التونسية باعداد قليلة جدا ؛ وقد بقى توزيعها محدودا بالاضافة الى أن وسائل التعريف بالانتاج على صعيد المغرب العـربى وغيـره ، تكـاد تكون معدومـة ولا تستجيب حقـا لتطلعاتنا وآمالنا .

ونظرا لأهمية هاته الدراسـة التاريخية ، قمـت باعـادة طبعهـا وتنقيحها وادخال تحويرات جوهرية عليها مؤملا ان لا أتهم مثل اخواننا المشارقة بكثرة الانتاج كما يدعيه البعض !

والواقع ان بلادنا اصيبت بآفات لا سبيل الى اجتثاثها مثل مركب الغرور والتعالى واتهـام الآخرين والتقليل من أهمية أعمالهم ؛ وفى اعتقادنا ان تعدد الدراسات الجادة وسلبيتهم فى هذا الميدان ، تساعد ولا شك على الحكم عليهم ؛ ولا أدل على ذلك من ممارستهم أساليب غريبة للتغطية ، واننا لنأسف لهم ان لا يتوفر لبعضهم وضوح الرؤية الكافية لتسليط الاضواء على سلوكهم وتكوينهم .

هل نأمل ان يساعد هذا العمل العلمى فى إطاره الجديد ، كل مـن يهتم بتاريخ بـلادنا ؟ هل نؤمـل من نشر هـذا البحث لاحـد الاساتـذة الاتـراك الذى أصبح اليـوم من ألمـع المختصين بتاريـخ الامبراطورية العثمانية ، ان يوضح لنا طريق البحث الرصين حتى نعمل بهدى وبثقة على كتابة تاريخنا على أسس سليمة وصحيحة ؟

ساكون سعيدا ان حقق نقل هذا البحث من التركية الى العربية بعض ما أطمح اليه .

تونس 2 / 4 / 1974 — عبد الجليل التميمى

كلمـــة الطبعـة الأولى

حدا بى الى ترجمة هاته الاطروحة ، التى قدمت الى جامعة استنبول لينال صاحبها درجة الدكتوراه ، شعورى العميق بأنها عمل علمـي نزيه ، اذ اتخـذ مؤلفها الارشيف التركى مصدرا اساسيا للبحث ، وما أحوجنا نحن اليوم الى من يدرس تاريخنا بمزيد من التجرد والنزاهة العلمية • والذين كتبوا عنا من المؤرخين الغربيين ، قد اتخذوا من أرشيف بلدانهم مصادر للبحث ، وأهملوا بقية دور الوثائق خاصة التركية والتونسية والجزائرية والليبية ، عن قصد أو غير قصد فوقع بعضهم بذلك فى أخطاء كثيرة وخطيرة •

لقد حاول هؤلاء المؤرخون ، اتهام شعوبنا بانها عقيمة القريحة ، فحسب ادعائهم ، لم يعثروا على وثائق كتبت بأيد مغربية ، ولا وجدوا ما يعتمدون عليه فى دراساتهم التاريخية • ما اكثر هاته الآراء التى حامت حول هذا الموضوع منذ زمان بعيد ، وما أغربها من آراء حين يعلم هؤلاء ان أرشيف بلادنا واقع تحت أنظارهم ، وكنوزنا الوطنية قد عبثت بها الايام ، فضاع بعضها ، وبقى الآخـر ينتظر مجهود بنيه لينتشل من النسيان بفهرسته ونشـره حتى يكون اساسـا لدراسات علمية نظيفة ونزيهة •

لقد بقى الأرشيف التونسى والجزائرى والليبى ، العربى منه والتركى * مهملا تمـاما • من ذلك ، بقاء أكثـر مـن 500 دفتـر ، عربـى وتركـى فـى الجزائر غير مفهرسـة ولا عرفـت محتوياتها • وقـد تمكنـا أخيـرا مـن القيام بهذا العمل • وقد أدى بـى ذلك الى الاعتقـاد بأن هاته الدفاتـر تشكـل مصدرا اساسيا لدراسة الحكم التركى بالبـلاد من حيـث الادارة والاقتصاد ، وجباية الضرائب وتاثير الاحباس ، وبصفة عامـة تعد هاته الوثائق مصـدرا

(*) العمل الوحيد الذى ظهر لفهرست الوثائق التركية بتونس هو :
MANTRAN Robert, *Inventaire des documents d'Archives turcs du Dar-El-Bey*
مطبوعات الجامعة التونسية ، 1961 .

لدراسة المجتمع الجزائرى اثناء وجود الاتراك بالبلاد • ومن ناحية أخرى لم يمس الأرشيف العربى بتونس وليبيا ، ولا عرف مدى غناه ولا قيمته التاريخية ، والاغرب من هذا وذاك ، عــدم الرجوع الى الارشيف التركى باستنبول الــذى يشكل هو الآخر أحد المصادر الاولى ، لا لدراسة اقطار المغرب العربى اثناء وجود الاتراك فحسب ، بل لدراسة كل اجزاء الامبراطورية العثمانية •

ان العلم يتقدم الآن بخطى سريعة ، وأن الابحاث التاريخية لم تعد تقتصر على مراجعة أرشيف معين ، بل أصبح ذلك الآن نقصا لا يمكن التغاضى عنه ، اذ أن الرجوع الى دور الارشيف لدراسة مسألة تاريخية يعد عملا عاديا • وعليه فمعرفة لغة أو لغتين أصبح ضرورة تحتمها نجاعة البحث العلمى • ان الدراسات التاريخية التركية الحديثة استطاعت ان تحول الانظار اليها لايجابيتها ولنزعتها العلمية ، عندما اتخذت من الارشيف العثمانى مصدرا لذلك ، فتعدد عندهم نشر الوثائق المتعلقة بأجزاء الامبراطورية العثمانية ، وقام العلماء الاتراك بأكبر عمل مشرف لهم ، هو ترجمة دائرة المعارف الاسلامية الى اللغة التركية مــع مراجعة كل ما ينعلق بالامبراطورية العثمانية ، متخذين لتلك المراجعة ، مصادر جديدة للبحث * •

لا أود من هاته الكلمة الا اثارة شبابنا الذين يتطلعون الى دراسة تاريخ بلادنا ومغربنا عــلى أسس جديــدة ، وانهم لواجدون تراثا انسانيــا ضخمــا يتطلــب مجهودهم الجماعى ، وما احوجنا الى هذا التعاون على جميع مستوياته •

هاته الاطروحة التى أقــدم ترجمتها اليوم هى للاستــاذ أرجمند كوران • لقد اتخذ المؤلف من أرشيف رئاسة الوزراء ووزارة الخارجية باستنبول مصدرين لدراسته ، فهو أول من قام بهذا العمل العلمى فى اطاره الجامعى • لقد تناول بالبحث ما قامت به الدولةالعثمانيةلاسترداد الجزائر بكثير منالايجاز معالتركيز والوضوح والدقة ، لقد عثر على كثير من الوثائق ولكنه لم يدرس الا قليلها •• ذلك أن هذا الموضوع واسع جدا وهو يود حصره فى مساعى الدولة العثمانية لاسترجاع الجزائر • وبذلك اضطــر المؤلف الى ذكر الوثائق التى تخدم هــذا الغرض فقط ، متجنبا دراسة متون الرسائل والتقارير • ان كثرة الوثائق التى عثرنا عليها دفعتنا الى الاهتمام بالموضوع من جديد ، فقد اجرينا تحريات فى

(*) راجــع : MANTRAN Robert, *L'Orientation des études historiques en Turquie*
والمنشورة بالمجلة التاريخية *CCXXIV, Revue Historique* ص . 311 ـ 322 ، باريس ، 1965 .

دور الارشيف التركي ، واهتدينا الى عدد آخر من الوثائق البكر لنفس الموضوع سواء كانت رسائل سفراء الباب العالي او رسائل الحاج احمد باي قسنطينة وحمدان بن عثمان خوجه وغيرهم كثير ٠

ولم نكتف بما عثرنا عليه هنا ، بل أجرينا أيضا تحريات في دور الارشيف بباريس ولندن ، وأدى بنا ذلك الى العثور على وثائق أخرى تخدم نفس الغرض وانصرفنا منذ سنتين الى دراسة ، لا الاحتلال الفرنسي للجزائر بل حكم الحاج احمد باي قسنطينة الذي يعد من أكبر رجالات الجزائر ، وانه لا يقل أهمية ووطنية عن الامير عبد القادر ، إن لم يفقه !

لم نعلق على هاته الترجمة الا نادرا * ، ذلك أننا بعزمنا على دراسة تلك الفترة ، آلينا على أنفسنا أن نوسع الموضوع ، ونذهب مع الوثيقة الى آخر معطياتها التاريخية ، وعليه فقد أبقينا نص الاطروحة كما هو ، دون ان نقحمه بزيادات مطولة من شأنها أن لا تعكس مرآة مجهود المؤلف الشخصي ** ٠ ونحن نأمل أن نكون قد قدمنا ترجمة أمينة للنص ، خصوصا ونحن حديثو عهد باللغة التركية وتاريخ الامبراطورية العثمانية ٠

سوف لن أنسى وأنا أقدم هذا العمل ، المساعدة التي وجدتها من الاساتذة الاتراك ، فبفضل ارشاداتهم ، تمكنت من دراسة الارشيف التركي بنجاعة خصوصا اذا علمنا أن هذا الارشيف غير مفهرس ، وأن الباحث فيه يجد عناء في تتبع مسألة تاريخية ما ٠

شكري للاستاذ كوران الذي تفضل باهداء اطروحته الينا ، وبقبوله نشرها مترجمة الى العربية ٠ وتقديري الخالص للمسؤولين في الجامعة التونسية ، الذين تفضلوا بقبول نشر هاته الاطروحة ضمن مطبوعات الجامعة ٠

آمل أن أكون قد أديت بهذا العمل بعض الواجب ، خدمة للثقافة .

ومن الله التوفيق ٠

عبد الجليل التميمي

القيروان في 10 ـ 11 ـ 1969

(*) اتبع المؤلف في حواشيه ، ذكر التاريخ الهجري فقط للوثائق ، وقد رأينا من المفيد للقارىء وتسهيلا له في تتبع الحوادث أن نردف التاريخ الهجري بما يقابله من التاريخ المسيحي ؛ وهذه هي الاضافة الوحيدة التي أدخلناها على صلب النص .

(**) لقد طلب المؤلف منا ذلك .

مَنْ هو المؤلف ؟

ولد ارجمند كوران باستنابول يوم 15 اوت 1920 ، تحصل على ديبلوم المعهد الفرنسي سان جوزاف (S. Joseph) سنة 1940 ، ثم احرز على الاجازة من كلية الآداب بجامعة آستنابول ، وفي سنة 1949 تعين بقسم التاريخ بنفس الكلية ، وفي سنة 1953 أحرز على الدكتورا من كلبة الاداب بجامعة آستنابول (وهي الرسالة التي بين يدى القارىء) .

اشتغل مع الاستاذ برسي ارنست (Percy Ernest) بجامعة ڤوتنڤاتن (Goettingen) بالمانيا الغربيةسنة 1954 ــ 1955 ، امـا في سنة 1958 قـام بأبحاث تحت اشراف الاستاذ بـرنار لويس (B. Lewis) بجامعة لندن ، وفـي السنـة الموالية كلـف بالتدريس بجـامعة روبـار كـولاج (Robert Collège) باستنابول ، وفي سنة 1962 تعين استاذا مساعدا بكلية الاداب بالجامعة الفنية للشرق الاوسط بأنقرة ، أما في سنة 1964 ــ 1965 ، فقد تحصل على منحة فولبريخت (Fulbrigt) بمعهد الشرق الاوسط بجامعة كولنبيا (Columbia) بنيويورك ، وفي سنة 1967 ، تعين استاذا للتاريخ العثماني والتركي بقسم الدراسات الاسلامية بجامعة تورنتو (Toronto) بكندا ، وبتاريخ 1 ديسمبر 1970 تعين استاذا بكلية العلوم الاجتماعية والادارية بجامعة حجتبة بأنقـرة ، ليصبح ابتداء من 3 جويلية 1971 الى 28 ديسمبر 1973 عميدا لنفس الكلية .

ــ عضو في معهد الابحاث الثقافية التركية بأنقرة وكذلك عضو بجمعية شمال أمريكا للدراسات حول الشرق الاوسط .

أما تآليفه فهي التاليـة :

كتب :

1. — *Cezayirin Fransizlar tarafından işgali karşısında Osmanlı siyaseti*, 1827-1847, Publications de l'Université d'Istanbul No. 731, Istanbul, 1957.
   Traduit en arabe et annoté par Abdeljelil Temimi, publié par l'Université de Tunis (Tunis, 1970).

2. — *Avrupa'da Osmanlı ikamet elçiliklerinin kuruluşu ve ilk elçilerin siyasi faaliyetleri*, 1793-1821 (= L'établissement des Ambassades permanentes ottomanes en Europe et les activités diplomatiques des premiers ambassadeurs. 1793-1821), Publications de l'Institut de Recherches sur la Culture Turque No. 20, Ankara, 1968.

دراسـات :

1. — "La lettre du dernier dey d'Alger au grand-vizir de l'Empire Ottoman", *Revue Africaine*, t. XCVI (1952), pp. 188-95.

2. — "Fransa'nın Cezayir'e tecavüzü, 1827", *Tarih Dergisi*, t. III (1953), pp. 53-62.

3. — "Gazavat-i Cezayirli Gazi Hasan Paşa'ya dair", *Tarih Dergisi*, t. XI (1960), pp. 95-98.

4. — "Cezayir-i garb mudafii, Kostantine beyi Ahmed Bey", V. *Turk Tarih Kongresi, Ankara* 12-19 *Nisan* 1956, *Kongreye sunulan tebliğler*, Ankara, 1960, pp. 681-89.

5. — "Ottoman Historiography of the Tanzimat Period", *Historians of the Middle East*, Bernard Lewis et P.M. Holt, éd., Londres : Oxford University Press, 1962, pp. 422-29

6. — "Osmanlī daimī elçisi Ali Aziz Efendi'nin Alman şarkiyatçīsī Friedrich von Diez ile Berlin' de ilmī ve felsefī muhaberatī, 1797", *T.T.K. Belleten*, t. XXVII (1963), pp. 45-58. Avec un résumé en anglais.

7. — "Turkiye'nin batīlīlaşmasīnda daimī elçiliklerinin rolü", *VI. Turk Tarihī Kongresi, Ankara 20-26 Ekim 1961, Kongreye sunulan bildiriler*, Ankara, 1967, pp. 489-96.

8. — "The Impact of Nationalism on the Turkish Elite in the Nineteenth Century", *Beginnings of Modernization in the Middle East, The Nineteenth Century*, William R. Polk et Richard L. Chambers, éd, Chicago : The University of Chicago Press, 1968, pp. 109-17.

9. — "Kuçuk Said Paşa (1840-1914) As A Turkish Modernist" *International Journal of Middle East Studies*, t. I (1970), pp. 124-32.

10. — "Musbet bilimlerin Turkiye'ye girişi", *VII. Turk Tarih Kongresi, Ankara 25-29 Eylul 1970, Kongreye sunulan bildiriler*, Ankara, 1973, pp. 671-75.

11. — "The Reforms of Ataturk", *The Reforms of Ataturk*, Publications du R.C.D. Cultural Institute No. 46, Institute No. 46, Istanbul, n.d. (1974), pp. 7-12.

Articles dans *l'Encyclopédie de l'Islam*, Nouvelle Edition (Paris —.Leiden); *Islâm Ansiklopedisi* (Istanbul), *Turk Ansiklopedisi* (Ankara).

Comptes-rendus dans *T.T.K. Belleten* (Ankara), *Tarih Dergisi* (Istanbul), *Turkiyat Mecmuasī* (Istanbul), *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* (Londres).

المقـــدمـــة

التدقيق في دراسة السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر ، معناه البحث في الجهود التي بذلها الباب العالي من أجل الحفاظ على هذه الولاية البعيدة ، ومعناه أيضا البحث فـي المحـاولات التي بذلتهـا الدولـة العثمانيـة لاسترداد الجزائر بعد فقدانها • وهكذا تتضح اهمية هذه القضية في التاريخ التركي • ويزيد في اهمية موضوع رسالتنا كون فرنسا هي الدولة الاجنبية التي اغتصبت الجزائر • وفـي الواقـع ان القضية الجـزائريـة تشكـل أزمـة في العلاقات التركية الفرنسية ، الودية على الاغلب ، ومن هنا سيكون العمل على ايضاح مرحلة حرجة كهاته مفيدا • ومن ناحية أخرى فان موضوعنا لـه علاقة بتاريخ الاستعمار ؛ فعندما فشلت فرنسا في البقاء بمصر سنة 1798 وجدت لنفسها في الجزائر ميدانا مناسبا لتأمين رغبة التوسع • وعليه فان آحتلال فرنسا لهذه الولاية العثمانية كان بدء امبراطورية استعمارية أنشئت في شمال افريقيا •

لقد جذبت السياسة التي انتهجتها الدولة العثمانية في شمال افريقيا بعد فقدان الجزائر ، اهتمام دبلوماسي فرنسي ، فنشر قبل ثمانية وعشرين سنة رسالة دكتوراه * • ولكن المؤلف انحاز في تاليفه تماما لفرنسا ، ووقع فـي أخطاء بسبب عدم استفادته من المراجع التركية •

اما نحن فقد حاولنا أن ندقق القضية الجزائرية خاصة ، دون شمال افريقيا برمته ، وسعينا ونحن نكتب هاته الرسالـة أن نكون محايدين متخذين مـن وثائق الارشيف التركي مرجعا أساسيا • ومن رأينا أنه يجب النظر من هاته الزاوية في خاصيات هذا العمل المتواضع الذي كتبناه • لم نهمل قدر الامكان

(*) SERRES Jean, *La politique turque en Afrique du Nord sous la Monarchie de Juillet.* باريس ، 1925

(*) قدمت هاته الرسالة سنة 1953 ، وبذلك يكون الفارق 28 سنة .

التدقيق في الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع والتـي نشرت باللغة التركيـة والفرنسية والانقليزية • وقد استفـدنا أيضا مـن الكتب الالمانية عـن طريـق الترجمة التركية لكتابات يورقا (Yorga) عن التاريخ العثماني ومع هذا فاننا لا ندعي أن رسالتنا كاملة ، ونامل ان تؤول الهفوات التي قد ترى الـى حسن نيتنـا •

ندين بالشكر هنا لمعلمنا الفاضل الاستاذ جمال توكين * الذى ارشدنا فـي اعمالنا ، كما نقدم الى السيد مدحت سرت او غلو ، مساعد مدير ارشيف رئاسة الوزراء * ، والى السيد زكاى تشاكن المدير السابق لارشيف وزارة الخارجية والى الصديقين العزيزين السيدين رؤوف تنجاى وترغط اشكسال ، العاملين في الارشيف ، والى السيد كمال تنرسودى ، موظف وزارة الخارجية ••• الذين لم يضنوا علينا بتقديم كل المساعدات والتسهيلات •

أرجمند كوران

(*) الاستاذ جمال توكين مختص بتاريخ تركيا وأوروبا في العصور الحديثة بجامعة أستنبول . المعـرب .

المــــدخـــل

الحكم التركي بمقاطعة الجزائر : أوجاق الجزائر ـ علاقات فرنسا مع أوجاق الجزائر ـ الخلاف بين فرنسا وأوجاق الجزائر وأسبابه ٠

تدين الدولة العثمانية بانضمام مقاطعة الجزائر الى الامبراطورية الى بطـل تركي اسمه خير الدين بربروس ٠ واسمه الاصلي هو : خزر (Hizir) ٠ وللد في جزيرة مدلي (Midilli) ، وغادر مع اخيــه الكبيــر « أوروج » بــلاده للقرصنة في المنطقة الغربية من البحر الابيض المتوسط ٠

ولما كانت سواحل إفريقيا بيد البرتغاليين والاسبان ، فقد أدى ذلك الــى اصطدامهم بالاخوين ٠ وعندما استشهد الرئيس « أوروج » أثناء حربه مـع الاسبان في ضواحي تلمسان بعد سنتين من فتحه مدينة الجزائر عام 1516 ، أصبح خير الدين بربروس ، الحاكم الوحيد للجزائر ٠

وكان بربروس قويا كما كان بعيد النظر ، فقد أدرك أن ليس بمقدوره أن يحكم البلاد بقواته فقط وأن يحارب المسيحيين بشكل موفق ٠ لذا فقد طرق باب الدولة العثمانية وأعلن أن الجزائر مقاطعة للسلطان سنة 1520 (1) ٠

وقد أرسل له السلطان سليم الاول ألفي عسكري مسلحين مع قوة مدفعية ، كما أعطى للذين يذهبون الى الجزائر كمتطوعين،امتيازات الانكشاريين٠ولا شك أن هاته المساعدة التي قدمتها الدولة العثمانية حققت لخير الدين بربروس فائدة

---

(1) ILTER SAMIH Aziz, *Simali Afrika Türkler, Istanbul*
(الاتراك في شمال افريقيا ، 1936 ـ 1937 ـ ج ٠ 1 ، ص ، 83 ،
استعمل المؤلف إلتر لكتابة تاليفه ، كتاب : H. D. De Grammont
Histoire d'Alger sous la domination turque, 1515-1830.
كمرجع اساسي ؛ وقد أتم بعض نواقصه بعد أن راجع ارشيف رئاسة الوزراء ، مدققا في دفاتر مهم ديوان همايون .

عظمى ، الا أن خير الدين اضطر الى ترك مدينة الجزائر فى نفس السنة بسبب معارضة الاهـالى .

وبعد ان انشغل خير الدين بربروس بالقرصنة لمدة خمس سنوات فى البحر الابيض المتوسط ، عاد واحتل الجزائر من جديد سنة 1525 . وكان دوام حلوله فيها هذه المرة مؤكدا . وبالفعل فقد عمل فى السنين التالية على احتلال المناطق الداخلية من البلاد . وكان أعظم نجاح وفق فيه هو احتلال قلعة بينون (Penon) سنة 1529 ، والتى أنشأها الاسبان على جزيرة صغيرة أمام مدينة الجزائر . وقد بنى بربروس كاسرة أمواج توصل أطلال القلعة والجزيرة بالساحل وبذلك أوجد ميناء حصينا ، وأسس أوجاق الجزائر ، وبالفعل فقد ظل ميناء الجزائر ، فيما بعد ، الملجأ الامين للقراصنة الذين يرعون الاوجاق (2) .

وكان من الطبيعى أن يسر نجاح خير الدين بربروس ، الدولة العثمانية ؛ ففى النهاية استدعى السلطان سليمان القانونى ، القرصان التركى الشهير الى استنبول سنة 1533 . وقد أطاع خير الدين أمر السلطان ، وقدم فى السنة التالية مع أسطوله الى استنبول . وقبل فى تشريفات الحضرة الهمايونية . وذهب الى حلب للتشاور مع الصدر الأعظم (3) ، حيث عهدت اليه هناك ولاية الجزائر . وفى عودة خير الدين باشا الى استنبول بنى فى الترسانة عدد من السفن ، أقلعت بخير الدين حيث كان على رأس أسطول كبير ، موكلا باحتلال تونس (4) .

وفى صيف سنة 1534 ، احتل خير الدين باشا مدينة تونس بسهولة ، مما جعله فيما بعد ، قليل الاهتمام بالجزائر . ذلك أن شارل الخامس(Charles Quint) امبراطور هابسبورج وصاحب تاج إسبانيا جاء فى سنة 1535 بأسطوله واحتل تونس وشدد الحملة على الاتراك . ولكن خير الدين بربروس (5) الذى وجهت

---

(2) إلتر ، **نفس المرجع** ، ص . 89 .

(3) كان الصدر الاعظم ابراهيم باشا قد خرج فى حملة الى ايران ، وفى تلك الاثناء كان موجودا بحلب ، راجع : *HAMMER, Histoire de l'Empire ottoman* باريس ، 1835 - 1843 ، ج 1 ص ، 205 . ترجمة : HELLERT
ولنفس المؤلف : Devlet-i Osmaniyye Tarihi
(تاريخ الدولة العثمانية) ، ترجمة محمد عطا ، استنبول ، 1329 / 1911 ، ج. 7 ، ص. 145

(4) إلتر ، **المصدر السابق** ، ص . 96 .

(5) كان تعيين خير الدين بربروس للقيادة العامة للاسطول سنة 1536 ، راجع : همر (Hammer) **المصدر السابق** ، ج. 5 ، ص . 224 أو حاشية ، رقم 1 لمحمد عطا ، **المصدر السابق** ، ج. 5 ، ص . 169 .

اليه رتبة وزير البحرية العثماني ، اصطدم فيما بعد مع قوات شارل الخامس البحرية ؛ أما الجزائر فقد عين لها خليفة عنه لادارة البلاد .

وعلى أثر موت خير الدين بربروس سنة 1546،عين للولاية ابنه حسن باشا(6) وفي عهد هذا الاخير ومن تبعه من الولاة ، كان أوجاق الجزائر تابعا للدولة العثمانية ومرتبطا بها ارتباطا قويا ، حيث إن أتراك الجزائر انتصروا على جيش شارل الخامس في سنة 1541 ، الذي جاء لاحتلال المدينة ، وأجبروه على مغادرتها بعد أن كبدوه خسائر فادحة (7) .

وحاول ولاة الجزائر مرارا أن يأخذوا وهران التي كانت تحت الاحتلال الاسباني منذ سنة 1509 ، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك . ومن ناحية أخرى ، فقد تحارب الولاة مع حكام مراكش الذين كانوا يقدمون المساعدة للاسبان ، ومع أن الاتراك غلبوا المراكشيين ودخلوا مدينة فاس في سنة 1554 ، الا أنهم لم يستطيعوا البقاء فيها (8) .

واهتم أولوج علي باشا الذي قدم لولاية الجزائر سنة 1568 بالجهة الشرقية على عكس أسلافه؛ ففتح بذلك تونس سنة1569. وبعد خمس سنوات، فتح أسطول اسباني بقيادة جون دوان دتريش (Don Juan D'Autriche) هاته المدينة . ولكن فقدانها كان مؤقتا ، إذ ما لبث أن عاد كلج علي باشا القائد العام للبحرية العثمانية ، بالاسطول العثماني سنة 1574 ، واحتل سنان باشا قائد القوات البرية تونس احتلالا نهائيا (9) .

ولم يكن كلج علي باشا غير والي الجزائر أولوج علي باشا نفسه . إذ أن الباشا أظهر مقدرة حربية في معركة إنابهتي (Inabahti) البحرية التي وقعت بين أسطول مسيحي ضخم وبين الاسطول العثماني سنة 1571 . فرفع إثر ذلك الى رتبة القيادة العامة للاسطول (وزير البحرية العثمانية) ، وغير لقبه من أولوج الى كلج (10) .

---

(6) إلتر ، **المصدر السابق** ، ص . 124 .

(7) **نفس المصدر** ، ص . 116 وما يليها .

(8) **نفس المصدر** ، ص . 131 .

(9) **نفس المصدر** ، ص . 131 وما يليها .

(10) انتصر المسيحيون في معركة انابهتي واحترقت أكثر سفن الاتراك ، الا أنه بفضل عزيمة الصدر الاعظم سوكولو احمد باشا فقد أنشأ أسطول جديد في غضون سنة ، راجع : همر ، **المصدر السابق** ، ج . 7 ، ص . 432 ، وكذلك : محمد عطا ، **المصدر السابق** ، ج.7 . ص . 273 .

وحافظ كلج * على باشا على رتبة القائد العام للاسطول مع ولاية الجزائر حتى موته ، ولكنه لم يؤد وظيفته الثانية هذه بشكل مباشر ، بل بعث للجزائر وكلاء عنه . وكانت ولاية تونس التى فتحها سنان باشا وطرابلس الغرب التى فتحها تورغت باشا سنة 1551، تابعتين لوزير البحرية أو (القائد العام للاسطول)(11) وتشكلت هناك مراكز تشبه أوجاق الجزائر .

وبعد موت كلج على باشا سنة 1587 ، رأت الدولة العثمانية من المناسب أن تفصل بين إدارة أوجاقات الغرب بتعيين واليين مختلفين ، على أن تكون ولايتهما لمدة ثلاث سنوات يتغيران بعد انقضائها . وبذا تكون الدولة العثمانية قد فكرت فى تأمين وحدة الامبراطورية ، مانعة أن تكون ادارة شمال إفريقيا كله ، بيد شخص واحد ولمدة طويلة .

وفى الحقيقة فان النتيجة جاءت عكسية ، إذ ضعفت روابط الاوجاقات بالدولة العثمانية،ذلك ان الباشوات القادمين للولاية لمدة ثلاث سنوات،لم يفكروا فى غير جمع الثروات والعودة الى استنبول . وبالتدرج انتقلت ادارة الولاية الى الانكشاريين ، وكسب ديوانهم قوة ونفوذا ، وصار الباشوات موظفين فقط برئاسة الاحتفالات الرسمية وبعقد المعاهدات ، ولم يحاول أحد الوقوف فى سبيلهم سوى خزر باشا (Hizir Paša) ، أحد ولاة الجزائر وذلك فى سنة 1596 ، ولكنه لم يوفق الى إخضاعهم (12) .

وفى سنة 1659 ، اغتصب ديوان الانكشاريين ادارة الولاية كلها . وبعد سنتين ، أرسل الانكشاريون وفدا لمقام القائد العام للاسطول وزير البحرية ، وأجبروا الدولة العثمانية على قبولها الامر الواقع ؛ وصار والى الجزائر عديم التأثير فى أى شأن من شؤون البلاد بصفة ممثل للسلطان . أما السلطة التنفيذية فأصبحت بيد أكابر الانكشاريين (13) .

قرر ديوان الانكشارية أن يتولى الآغا الحكم عن طريق الانتخاب ، على أن يبقى فى الحكم لمدة شهرين اثنين فقط . ومر عهد الآغا الذى استمر اثنى عشر

(*) كلج : فى اللغة التركية معناه : السيف ، وقد خلع هذا اللقب على أولوج ، الذى أظهر مقدرة فى المعركة البحرية فكان كالسيف القاطع على الاعداء راجع : Islâm Ansiklopedisi (دائرة المعارف الاسلامية باللغة التركية) مادة ، Kilič Ali Paša استنبول . 1954 ، ج. 6 ، ص . 679 وما يليها ، **المعرب** .

(11) لاحتلال طرابلس الغرب راجع : إلتر ، **المصدر السابق** ، ج. 11 ، ص. 194 وما يليها .

(12) إلتر ، **المصدر السابق** ، ج. 1 ، ص. 169 .

(13) **نفس المصدر** ، ص . 215 .

عاما مليئة بالخلافات ، ذلك أن الاغاوات المنتخبين للحكم حاولوا عدم التخلى عن مناصبهم ، فقتلوا كلهم على اثر الثورات التى حدثت ٠

وفى سنة 1671 ، انتهت هاته الوضعية على اثر انقلاب رؤساء القرصنة وتسلمهم السلطة ، فغيروا شكل الحكومة وانتخبوا دايا ليحكم الاوجاق حتى موته (14) ٠

وزاد ضعف ارتباط أوجاق الغرب بالدولة العثمانية فى أوائل العصر الثامن عشر ٠ وبالفعل فقد منع داى الجزائر على جاوش نزول الباشا العثمانى القادم لولاية الجزائر ، الى البر ، وأجبروه على أن يقفل راجعا ٠ واثرها أرسل على جاوش الى السلطان مبعوثا محملا بهدايا ثمينة ، مسترحما إياه أن يمن عليه بولاية الجزائر ٠ وعندما أسعفه السلطان بذلك ، صار داى الجزائر هو واليها ، كما أصبح يحمل لقب الباشا (15) ٠

وبعد سنة من استيلاء سلالة القرمانلى بطرابلس الغرب على الحكم ، راجع مؤسسها أحمد باى استنبول ، وأخذ أمرا بالولاية (16) ٠ أما فى سنة 1737 فقد ظل على باى من سلالة الحسينى ، الحاكم الوحيد بتونس وبقيت الولاية بعهدته (17) ٠

وهكذا ضعفت الروابط التبشعيةلاوجاقات الغرب مع الدولة العثمانية كثيرا ٠ وبالنظر الى أحكام معاهدة كارلوفتز (Carlovitz) السلمية التى أمضتها الدولة العثمانية مع النمسا والبندقية وبولونيا سنة 1699 ، ومعاهدة استنبول فى السنة التالية مع روسيا ، يدرك أن الدولة العثمانية (18) ، التى اضطرت لاول مرة الى التخلى عن قسم من أراضيها ، لم تكن قادرة فى هذا العهد على ربط أوجاقات الغرب للامبراطورية العثمانية بصورة فعلية .

وفى عهد الدايات الباشاوات ، أخذت تشكيلات ولاية الجزائر شكلها الاخير ، وصار يوجد فى المركز ، الى جانب الولاية ، ديوان هو عبارة عن مجلس

---

(14) **نفس المصدر** ، ص . 220 .

(15) **نفس المصدر** ، ج. 11 ، ص . 27 .

(16) **نفس المصدر** ، ص . 229 وما يليها .

(17) **نفس المصدر** ، ص . 154 .

(18) Dr. Cemal TUKIN, *Osmanli Imparatorloğu devrinde Boğazlar Meselesi,* (مسالة المضائق فى الامبراطورية العثمانية) ، استنبول . 1947 ، ص . 21 وما يليها .

للشورى . وكان أهم أعضائه المتألف مـن خمس موظفين هو المسؤول عـن الخزينة والناظر لشؤون المالية ، ويأتي بعده المكلف بالشؤون البحرية ويسمى وزير البحرية (Yali Oukil Hardj) . وكان يقوم بمهام كتابة الديوان ، أربعة كتاب (Divan Hodjasi) . أما الشؤون الشرعية فكان ينظر فيها مفتيان أحدهما حنفي والآخر مالكي لأن الاتراك حنفيون ، أما الاهالي فمالكيون .

ثم ان الولاية قسمت الى ثلاثة ألوية (Sancak) بالاضافة الى اللواء المركزى وكان يوجد على رأس كل واحد من هذه الالوية ، الشرقية والجنوبية والغربية ، ما يسمى بالباى (19) . وكانوا يدفعون الضرائب ولكنهم يعدون مستقلين فى إدارة ألويتهم . أما اللواء فقد انقسم الى قواد ومشائخ ، وكان الانكشاريون الذين ملأ قسم كبير منهم المركز ، موجودين أيضا فى الالوية .

أما أمن البلاد فى الداخل فكان تؤمنه القبائل المعفاة من الضرائب والمتمتعة بالامتيازات ، إذ كانت وظيفة هاته القبائل المسماة بالمخزن (Makhzen) هى فرض الطاعة على القبائل الأخرى الملزمة بدفع الضرائب (20) . وقد استفاد الأتراك بمهارة من العداوة التى بين القبائـل ، ولكى يستطيعوا أن يتابعـوا حكمهم للأهالى ، فقد انتهجوا سياسة التعامل بالحسنى مع المرابطين الذين يعدون من الاولياء ، وهم أصحاب النفوذ (21) .

ومن الأمور التى راعاها الاتراك فى ولاية الجزائر ، أنهم كانوا لا يولون مواليد الانكشاريين من النساء المواطنات المناصب العليا وكانوا يطلقون عليهم أبناء العبيد أي الكراغلة (Külöğlü) وهم يشكلون القوة المدفعية للأوجاق (22).

وفى أوائل القرن التاسع عشر ، صارت تبعية ولاية الجزائر للدولة العثمانية عبارة عن تصديق السلطان لتولية الداى كل سنتين أو ثلاث ، والتحاق سفن الاوجاق بالاسطول العثمانى كلما تطلب ذلك . وغير هـذا فقد كان أوجـاق الجزائر يجلب جنودا أتراكـا من جزر البحر الابيض المتوسط ومن الأناضول

---

(19) كانت عاصمة اللواء الشرقى : قسنطينة ، وعاصمة اللواء الجنوبى المسماة أيضا بتيطرى (Tittery) مدية ، أما عاصمة اللواء الغربى فكانت بادىء الامر مازونة ثم ام العساكر (Mascara) وانتقلت الى وهران بعد استردادها من الاسبان سنة 1792 .

(20) إلتر ، **المصدر السابق** ، ج. 1 ص . 189 وما بعدها .

(21) فرامن ، **المصدر السابق** ، ص . 412 وما بعدها .

(22) إلتر ، **المصدر السابق** ج . 1 ، ص . 108 .

بما في ذلك الانكشاريين • وربح الولاة الحرية ، لدرجة أنهم يستطيعون توقيع المعاهدات مع الدول الاجنبية مباشرة (23) •

كان معظم المعاهدات التى عقدها أوجاق الجزائر تمضى مع دول صغرى • فكان يقوم صلح لمدة معينة مقابل ضريبة سنوية تدفع للأوجاق • وكان بحارو الجزائر يهاجمون السفن التجارية والحربية للدول التى لم تعقد معاهدة سلم معهم ، وينهبون ما فيها من أموال ، ويأسرون ملاحيها • وكانت القرصنة تشكل المورد الرئيسى لاوجاق الجزائر ، فأتاوات الانكشاريين الذين هم على استعداد للتحدى والثورة ، تؤدى من هذا السبيل فقط (24) * •

ولكنه فى أوائل القرن التاسع عشر تكاثرت القوى البحرية للدول الاجنبية وكانت أنقلترا ترى أهمية تأمين حرية التنقل فى البحر الابيض المتوسط لحماية مصالحها فى نمو التجارة بين الدول • لذا فقد عقدت انقلترا معاهدة مع النمسا وبروسيا ضد الجزائر فى شهر أكتوبر من سنة 1815 ** • وفى سنة 1816 أرسلت أسطولا بقيادة اللورد أكسموث (Exmouth) الى مدينة الجزائر •

وطلبت انقلترا من أوجاق الجزائر ، اجراء الصلح مع الدول الاوروبية الصغيرة دون أخذ جزية ، وباطلاق سراح الاسرى المسيحيين ، مقابل قليل من المال ؛ وقد أجبر والى الجزائر عمر باشا على الانصياع لهذه الشروط *** • ولكنه بعد انسحاب الاسطول الانقليزى ، ثار الشعب فخاف عمر باشا وابتعد عن التفاهم مع اللورد أكسموث ، فاتحد الاسطول الانقليزى مع الاسطول الهولندى وعادا الى الجزائر ثانية ، وضربت المدينة بالمدافع بشدة **** ، ومع أن عمر باشا جابه نيران أسطول العدو ببطولة ، الا أنه رضى بعقد معاهدة

---

(23) مصطفى نورى باشا ، **نتائج الوقوعات** ، الطبعة الثانية ، استنبول . 1327 / 1908 ج. 1 ، ص . 132 وما بعدها .

(24) قرامن ، **المصدر السابق** ، المقدمة ، ص . 13 .

(*) نختلف أساسا مع المؤلف فى هذا الرأى ؛ ويبدو أن القرصنة التى بولغ فى قيمتها من طرف المؤرخين الغربيين ، لا تشكل الا موردا من موارد كثيرة بالنسبة للجزائر العاصمة على الأقل ، أما بقية الموانىء وخاصة الشرقية ، فكانت تعتمد على التجارة . **المعرب** .

(**) هو مؤتمر فينا (Congré de vienne) **المعرب** .

(***) لم نعثر اثناء أبحاثنا حول هاته الفترة أن عمر باشا قبل شروط اكسموث قبل الحرب التى دارت رحاها فى 27 اوت 1816 . **المعرب** .

(****) راجع : قذف مدينة الجزائر سنة 1816 ، فى كتابنا : **بحوث ووثائق فى التاريخ المغربى، تونس الجزائر وليبيا من 1816 الى 1871** ، تونس ، 1972 . **المعرب** .

صلح مع كل من انقلترا وهولندا • وبالنظر الى تلك المعاهدة أطلق سراح أسرى المسيحيين في الجزائر ولم تتعرض سفن هولندا بعد لهجوم الجزائريين(25) وهكذا مر أوجاق الجزائر بسلام من خطر كبير • ومع هذا فان هدم أوجاق الجزائر لم يتأخر ؛ اذ بعد أربعة عشر سنة ، ضربه الفرنسيون الضربة القاضية •

وبدأت علاقات الجزائريين بفرنسا منذ أن تأسس الاوجاق • وكانت الصداقة بين الدولة العثمانية وفرنسا منذ السنوات الاولى لخلافة سليمان القانوني ، تحتم على أوجاق الجزائر التى هى ولاية من الامبراطورية ، أن يكون صديقا لفرنسا ، فقد تحالف خير الدين بربروس مع الفرنسيين سنة 1543 في محاصرة قلعة نيس (Nice) التابعة لامبراطورية شارل الخامس (26) • وكانت العداوة المشتركة للاسبان تشكل هذه الصداقة •

وقد عرف الفرنسيون كيف يستفيدون من صداقتهم مع أوجاق الجزائر • ونجحوا فى سنة 1577 فى تعيين قنصل لهم فى مدينة الجزائر ، وحصلوا فى السنة التالية ، نتيجة لامر السلطان ، على اذن باصطياد المرجان فى سواحل الجزائر الشرقية ، شريطة أن يدفعوا ضرائب ولا ينشئوا قلعة (27) • وأنشأوا على قرب من عنابة (Bône) مركزا تجاريا أعطوه اسم باستيون (Bastion) ورغم منع السلطان تحصين المركز ، الا أنهم لم يتوانوا فى ذلك (28) •

وفى سنة 1604 هدم الاتراك المركز باستيون ، وكان سبب ذلك شراء الفرنسيين القمح من الاهالى وبيعه لاوروبا ، رغم القحط الذى عم بلاد الجزائر مما أدى الى غضب الاتراك من عملية الفرنسيين باخراجهم القمح الى خارج البلاد (29) • ومع أن الباستيون قد أعيد بناؤه ثانية فى سنة 1628 ، الا أنه بعد تسع سنوات ، هدم مرة ثانية بعد أن ساءت العلاقات بين أوجاق الجزائر

---

(25) راجع : إلتر ، **المصدر السابق** ، ج. 1 ، ص . 49 وما بعدها . لقد قتل عمر باشا فى نفس السنة من قبل الانكشاريين .

(26) همر ، **المصدر السابق** ، ج . 5 ، ص . 351 ، وكذلك ، محمد عطا **المصدر السابق** . ج 5 ، ص . 236 وما بعدها .

(27) إلتر ، **المصدر السابق** ، ج. 1 ، ص . 114 . كان للفرنسيين من قبل فى هاته المنطقة عدة مراكز تجارية ، ولكن لا توجد معلومات كثيرة عنها .

(28) ROUX Charles F, *France et Afrique du Nord avant* 1830 باريس . 1932 ، ص . 103 .

(29) **نفس المصدر** ، ص . 68 .

وفرنسا ٠ ولكن الوالى اضطر الى قبول بناء الباستيون فى سنة 1640 من جديد ليواجه عصيان القبائل الشرقية المنتفعة بالاتجار مع الفرنسيين (30) .

وفى النصف الثانى من القرن السابع عشر ، جربت فرنسا استعمال سياسة القوة ضد أوجاق الجزائر حيث أرسل الملك لويس الرابع عشر ، الاسطول الفرنسى الى الجزائر بقصد الحد من قوة القراصنة ، وضربت المدينة بالمدافع ثلاث مرات (31) ومع هذا فان الحكومة الفرنسية لم تجن أى نتيجة مما انتظرته من سياسة القوة ٠ وفى سنة 1689 عقدت معاهدة صلح مع والى الجزائر (32) وبعدها راعت فرنسا التعايش بسلام مع الجزائريين، ولم تهتم أكثر بالباستيون٠

كان الباستيون يدار من قبل شركة فرنسية خصوصية ، وكانت خسارة الشركة تفرض تدخل الحكومة الفرنسية ٠ وقد أسست أخيرا فى سنة 1741 شركة رسمية باسم الشركة الملكية لافريقيا (Compagnie Royale d'Afrique) (33) ٠ وحققت هاته الشركة نموا ونجاحا كبيرين ٠ وبعد الثورة الفرنسية سنة 1789 ، استمرت فى عملها تحت ادارة تجار مرسيليا باسم الوكالة الافريقية : (Agence d'Afrique) (34) ٠

كان احتلال الجنرال بونابرت لمصر سنة 1798 ، السبب فى اعلان أوجاق الحرب على فرنسا تحت ضغط الدولة العثمانية ، بالرغم من أن والى الجزائر كان وقع معاهدة صلح مع فرنسا قبل سنتين الا أنه أكره لاعلان الحرب عليها، وقطع علاقاته مع فرنسا إثر انذار السلطان الشديد اللهجة ٠

أما معاهدة السلم القطعية بين أوجاق الجزائر وفرنسا ، فقد وقعت فى أواخر سنة 1801 ، ذلك أن الدولة العثمانية تصالحت مع فرنسا (35) ٠

---

(30) **نفس المصدر** ، ص . 127 وما بعدها .

(31) كان ضرب الاسطول الفرنسى الجزائر فى سنة 1682 و 1683 و 1688 .

(32) شارل رو ، **المصدر السابق** ، ص . 179 وما بعدها .

(33) **نفس المصدر** ، ص . 210 كان على سواحل الجزائر عدة مراكز تجارية أخرى ولكن اهمها هو الباستيون .

(34) **نفس المصدر** ، ص . 366 وما بعدها .

(35) إلتر ، **المصدر السابق** ، ص . 74 وما بعدها .
بعد اعلان أوجاق الجزائر الحرب على فرنسا هدمت مراكز التجارة واعتبارا لبند من بنود الصلح الذى عقد سنة 1801 ، فقد اعيد بناء المراكز التجارية من جديد ، راجع : شارل رو ، **المصدر السابق** ، ص . 395 .

وفي عهد امبراطورية نابليون ، كانت العلاقات بين فرنسا وأوجاق الجزائر متوترة للغاية • فبعد سنتين من تأمين سيادة انقلترا على البحر الابيض المتوسط ، بعد أن انتصر أسطولها على الاسطول الفرنسي في معركة الطرف الاغر (Trafalgar) البحرية سنة 1805 ، استولى والى الجزائر على مراكز التجارة الفرنسية ، وأجرها لانقلترا لمدة عشر سنوات • فدفعت حركة الوالى هاته نابليون للتفكير فى الاستيلاء على الجزائر ؛ وتفاهم فى شهر جويلية سنة 1807 مع أمبراطور روسيا وعقد معاهدة فى تلسيت (Tilsit) من أجل ذلك • وبعد أن أمن السلام فى القارة الاوروبية صارت لديه الحرية الكافية للاستيلاء على أوجاق الجزائر • وبذلك يكون أمبراطور فرنسا قد فكر فى أخذ السيادة على البحر الابيض المتوسط من أنقلترا ، ببقائه فى الجزائر !

وبدأ نابليون بتنفيذ الخطة التى رسمها عندما أمر وزير البحرية ارسال ضابط استحكام ، مكلفا اياه بجمع المعلومات عن مدينة الجزائر وضواحيها • وفى سنة 1808 قدم الضابط بوتان (Boutin) الذى أرسل الى الجزائر ، تقريرا مفصلا للامبراطور بعد عودته • ولكن نابليون لم يستطع القيام بحملة على الجزائر بسبب انشغاله فى أوروبا (36) •

وبعد قيام الملكية فى فرنسا من جديد ، حسنت فرنسا علاقاتها مع أوجاق الجزائر • وفى سنة 1817 أعيدت مراكز التجارة الفرنسية الى أصحابها (37) • ومع هذا فان قضية المراكز التجارية المستمرة منذ أواخر القرن الثامن عشر أصبحت سببا لتأزم العلاقات بين الوالى والحكومة الفرنسية • وفى السنوات التى أعقبت الثورة الفرنسية 1789 ، كانت فرنسا فى حالة حرب مع دول أوروبا ، وعليه فقد أمنت ما تحتاجه مقاطعاتها الجنوبية من قمح الجزائر فقط • وقد تمت هاته الصفقة بواسطة تاجرين يهوديين هما بكرى وبوشناق وهما فى الاصل من مدينة ليفورنة (Livourne) الايطالية ، ولكنهما استقرا فى الجزائر • وقد طلبت شركة بكرى وبوشناق ديونها من الحكومة الفرنسية سنة 1797 ، غير أنها لم تحصل الا على قسطين فقط •

ان كون أوجاق الجزائر دائنا للتجار اليهود ، جعل الوالى يطلب من الحكومة الفرنسية تصفية حساباتها معهما • وفى النهاية دققت الحكومة الفرنسية

---

(36) شارل رو ، **نفس المصدر** ، ص . 440 وما يليها . افاد تقرير بوتان فرنسا كثيرا فى حملتها على الجزائر سنة 1830 .

(37) **نفس المصدر** ، ص . 520 .

بواسطة لجنة فى ديون اليهوديين ، وأغلقت الحساب بسند مؤرخ فى سنة 1819 ولكن الحكومة الفرنسية وضعت يدها على قسم من النقود التى ستعطى للتجار اليهود ، معتمدة على مادة فى السند ، ذلك أن التجار اليهود كانت عليهم ديون لفرنسيين كانوا قد التجأوا الى المحكمة (38) ٠

وصرحت شركة بكرى وبوشناق للوالى حسين باشا (39) المطالب بديون الاوجاق ، بأنها مفلسة ، وأنها لا تستطيع أن تدفع دينها الا بعد أن تحصل على المبلغ الذى صودر فى فرنسا ٠ وفى كل مرة يسأل فيها حسين باشا قنصل فرنسا دوفال (Deval) عن سبب عدم استطاعة التجار اليهود أخذ نقودهم كاملة ، كان القنصل الفرنسى يجيب بأن ذلك يتطلب انهاء الدعاوى التى ينظر فيها بالمحاكم ٠ ولما لم تنته هاته الدعاوى رغم مرور سنوات كثيرة ، ابتدأ حسين باشا يشك فى نية فرنسا ، وزيادة على ذلك فقد كان القنصل دوفال شخصا لا يوثق به .

أرسل حسين باشا ثلاث رسائل الى الحكومة الفرنسية بشأن دين الشركة منذ سنة 1824 ٠ وعندما لم يأت جواب على أى منها ، فقد غضب تماما على فرنسا ٠ وبعدها بقليل ، علم حسين باشا بأن الباستيون قد تسلح رغم وعد الشرف الذى قطعه دوفال بشأن عدم تحصين المراكز التجارية الفرنسية ، فزاد هذا الخبر من غضب الباشا ٠

وفى 29 أفريل 1827 ، سأل داى الجزائر القنصل دوفال ، الذى قدم للتهنئة بعيد الفطر ، عن سبب عدم رد الحكومة الفرنسية على رسائله ٠ وعلى إثر قول القنصل : « ان ملك فرنسا وشعبها لا يحرران لك ورقة ، ولا يرسلان ردا حتى على رسائلك المرسلة » نهض من مكانه محتدا ، وضرب مخاطبه بالمروحة التى كانت بيده مرتين أو ثلاثا (40) ٠ ان تحقير حسين باشا للقنصل دوفال بهذا الشكل ، جعل فرنسا غير ملتزمة بقيد ، اذ بعد شهر

---

(38) KURAN Ercümend, *Fransa'nın Cezayire tecavüzü, 1827,* (عدوان فرنسا على الجزائر سنة 1827) المنشورة فى : Edebiyat Fakültesi, Tarih Dergisi (المجلة التاريخية لكلية الآداب بجامعة استنبول) استنبول ، 1953 ، ج. III ، عدد . 5 ــ 6 ، ص . 56 .

(39) حسين باشا من دنيزلى (Denizli) انتخب دايا للجزائر سنة 1818 ، وتوفى فى الاسكندرية سنة 1838 ، ورغم كونه شديدا فى اجراءاته الا أنه لم يكن سافك دم ، ولكنه كان عنيدا ، راجع : إلتر ، **المصدر السابق** ، ج. II ، ص . 94 وما بعدها .

(40) كوران ، **المصدر السابق** ، ص . 60 .

ونصف طلب أسطول فرنسي ، رسا أمام الجزائر ، الترضيـة من الوالى ، فى حين كان حسين باشا يجد نفسه محقا فى الحادثة التى جرت مع القنصل ، فلم يقبل باعطاء ترضية لفرنسا . فكانت النتيجة ان صارت فرنسا وأوجاق الجزائر فى حالة حرب اعتبارا من 16 جوان 1827 ؛ وبدأ الاسطول الفرنسى فى محاصرة مدينة الجزائر بحرا ؛ وفى سنة 1830 أرسلت جيشا كبيرا ليستولى على المدينة .

واتخذت حركة الاحتقار التى قام بها حسين باشا لقنصل فرنسا ، حجـة لنشوب الحرب ، فى حين أن السبب الاصلى هو رغبة فرنسا فى زيادة منافعها الاقتصادية فى الجزائر . وعلى كل ، لو قبل الوالى منح ترضية لفرنسا ، فانها كانت ستعمد الى طلب اعتبارها دولة ذات امتيازات خاصة فى الجزائر ، ورفع الرسوم الجمركية البالغة عشرة فى المائة ، والتى تجبى عن البضائع بعنابة ، وستطلب كل هذا لنفسها بالانذار (41) .

ولكن ، كان لارسال جيش الى الجزائر بعد ثلاث سنوات ، سبب آخر ، اذ كان رئيس وزراء فرنسا برنس دوبولينياك (Prince de Polignac) ، يأمل بانتصاره فى الجزائر ، اشغال أفكار الشعب الفرنســى ، عن حصر حريـة الصحافة ، وحل مجلس النواب ويأمل أن ينجح فى إصدار « قرارات الملك » وتنفيذها (42) . بيد أن دخول الجيش الفرنسى مدينة الجزائـر لم يحـدث التأثير المتوقع فى فرنسا ، بل وسببت قرارات الملك تلك ، الاطاحة بملكية شارل العاشــر .

---

(41) نفس المصدر ، ص . 62 .

(42) Bourgeois, Emile, *Manuel Historique de Politique Etrangère*
الطبعة التاسعة ، باريس . 1931 — 1933 ، ج. II ، ص . 783 .

1 • ـ إبلاغ الباب العالى بـوقوع الحرب بين فرنسا وأوجـاق الجـزائـر فـى 2 أوت 1830

فى أوائل شهر أوت من سنة 1827 قدم مترجم سفير فرنسا فى إستنبول الكونت ڤييومينو (Comte Guilleminot) للباب العالى ، وقدم لرئيس الكتاب مذكرة كتبها السفير ، أبان فيها وجوب تدخل الحكومة العثمانية لتأديب والى الجزائر الذى أظهر عداء للفرنسيين منذ مدة ، وقال : « ... وحيث إن الداى قد زاد من تعدياته السابقة بتحقيره قنصل فرنسا فى الجزائر ، فان جنـاب ملـك فرنسـا اضطـر لطلب ترضيـة علنية مهددا باعلان الحرب فى حالة رفض طلبه ، وحيث أن طلبه قد رفض وعليه فالحرب محققة » (1) . وكان السفير يعتمد فى اعلان حكومته الحرب على أوجاق الجزائر ، على البند الحادى عشر من المعاهدة المعقودة بين الدولة العثمانية وفرنسا (2) . وكان فى ختام مذكرته يصرح بمحاصرة السفن الحربية الفرنسية مدينة الجزائر .

---

(1) H. A. ، جزايرك فرنسا طرفندن اشغالى مسائل سياسية ، (آحتلال الجزائر من طرف فرنسا ، مسائل سياسية) ، ملف رقم 708 ، مذكرة الكونت ڤييومينو للباب العالى بتاريخ 2 أوت 1827 . H. A. (ارشيف وزارة الخارجية بـآستنبول)

(2) وقعت هاته المعاهدة فى 4 ربيع الاول 1153 الموافق 30 مارس 1740 ؛ أما المادة الحادية عشرة منهـا فتنص :

« عندما يرسى قراصنة الجزائر فى موانىء فرنسا ، فعلى هؤلاء ان يراعوهم ويقدموا لهـم البارود والرصاص والاشرعة وسائر الآلات وعلى الجزائرين أن لا يغيروا على أسرى واموال التجار الفرنسين عندما يلاقونهم ، وقد منعوا من القيام بذلك عدة مرات فى زمن عظمة جدنا المرحوم . ولكنهم لم يكفوا عن ذلك ، ومازالوا عـلى العدوان . ومع أن السلطنـة الهمايونية غير راضية عن ذلك ، فيجب اذن اعتاق الاسرى الفرنسيين ان وجدوا واعادة اموالهم كاملة .

واذا تمادى القراصنة فى عصيانهم واستمروا فى عدوانهم ، ووقع اعلامنا من طرف السعادة (ويقصد به ملك فرنسا) ، فانه يجب عـزل والى الجزائر أيا كان ، ويقع بعـدها دفـع التعويضات عن الآلات المغار عليها . واذا لم يمتثلوا لامرى الشريف السلطانى ، مع تنبيهم لذلك ، فعلى ملك فرنسا ، اذا ما وصلـوا الى موانـىء البلاد الفرنسية أن يرفض قبولهـم بموانئه وقلاعه ، كما وأن الوسائل التى يستعملها لمعاقبتهم ، سوف لن تمس بسوء هاته المعاهدة ، وذلك تماشيا مع الحكم الشريف الصادر زمن أجدادنا والذى ما زلنا متمسكين به ،

أبان رئيس الكتاب لمترجم السفارة الفرنسية الذى كرر شفهيا المذكرة التى أحضرها ، عدم شرعية عمل الحكومة الفرنسية ، ولقد كان عليها أن تبلغ الباب العالى بذلك قبل البدء فى الحرب • ورفض رئيس الكتاب قبول المذكرة ، ووعد باطلاع أولى الامر من المسؤولين على ترجمتها فقط (3) •

كانت الدولة العثمانية منهمكة فى إخماد ثورة جزيرة مورا منذ ست سنوات ، ولهذا كانت لا تنوى أن تحشو رأسها بقضية جديدة فى ظروف تاريخية دقيقة • ففى اجتماع عقد برئاسة الصدر الاعظم وضم وزير الحربية خسرو باشا (4) ، تقرر عدم التدخل الفعلى فى الخلاف الناشب بين فرنسا وأوجاق الجزائر ، مع التظاهر فقط بأنه سيتدخل • وبعد أن اتفق على صيغة الجواب الذى سيعطى الى سفير فرنسا فى حالة إرسال مترجمه مرة ثانية ، رئى من المناسب لاجل التحقيق وفهم أساس المسألة ، أن يكتب وزير البحرية ، رسائل الى الداى (5) الجزائرى والى مفت جزائرى موجود بأزمير (6) • وردا

وواعدين ملك فرنسا بتاييد شكاياته أو التعبير عن آرتياحه فيما يتعلق بهذا الامر » . راجع : B. A. ديوان همايون ، أجنبى دفتر لدى (الديوان الهمايونى ، الدفاتر الاجنبية) رقم 4 / 29 ، دفتر المعاهدات والاوسمة المعقودة مع فرنسا بتاريخ 1153 — 1740 نشرت فى مجلة المعاهدات ، استنبول . 1794 — 1877 — 1880 ، ج. 1 ، ص . 14 وما وما يليها . وقد قرأت بعض الكلمات خطأ وترك بعضها . وللاطلاع على الترجمة الفرنسية للمعاهدة راجع : Le Baron I. De TESTA. *Recueil des traités de la Porte Ottomane avec les Puissances Etrangères*, Paris, 1864. ج . 1 ، ص . 186 .
وكما يرى فان هاته المادة ، تعترف بحق تدخل فرنسى بالسلاح لاعمال القرصنة فى الجزائر ، ضد السفن الفرنسية فقط ، فلا بد وان اعلان فرنسا الحرب على الجزائر دون اخبار الدولة العلية ، مناف للمعاهدة . B. A. (آرشيف رئاسة الوزراء باستنبول) .

(3) B. A. ، ملف رقم 78 ، خارجى مسائل سياسية (المسائل السياسية الخارجية . وجزايرك اشغالى (احتلال تونس والجزائر) H. H (أى خط همايون) رقم . 39 .

(*) رئيس الكتاب هو وزير الخارجية العثمانية آنذاك . **المعــرب** .

(4) منذ أن تعين خسرو باشا وزيرا للحربية فى افريل 1827 حتى عزله ، خدم بالفعل الدولة العثمانية . ففى سنة 1839 عين صدرا أعظم ، ولما كان ضد التنظيمات لم يبق كثيرا فى هذا المنصب ، وتوفى سنة 1855 بعد أن تجاوز عمره التسعين ، راجع : خليل انلجك ، مادة **خسرو باشا** فى دائرة المعارف الاسلامية باللغة التركية ، استنبول . 1941 ، ج. 5 ، ص . 109 وما يليها .

(5) لم تكن كلمة « داى » تستعمل لولاة الجزائر فقط بل وكبار الضباط الاوجاق ، راجع : YVER ، مادة داى (Dey) *Encyclopédie de l'Islam*, Leiden Paris ج. 1. ص . 978 وما يليها . راجع أيضا : دائرة المعارف الاسلامية باللغة التركية ، ج . III ، ص . 501 .

(6) B. A. ، **المرجع السابق** ، كان القائد العام للبحرية فى ذلك الوقت هو عزت محمد باشا عن كتاب محمد شمسى *Ilâvei Esmar uttevârih ma'zel* (علاوة أثمار التاريخ المعزل) استنبول بدون تاريخ . ص . 149 .

على الرسالة التي كتبها وزير البحرية ، بعد أن وافق السلطان على ذلك القرار • لم يتوان المفتى خليل أفندى فى إرسال الكتاب الذى تسلمه من أمين ترسانة الجزائر فى 28 أوت الى وزير البحرية . وكان أمين الترسانة يرجو من خليل أفندى ان يقدم للباب العالى المعلومات اللازمة ان لزم الامر (7) •

وبعد أن قرأ الصدر الاعظم ، الرسالة التى وجهها له وزير البحرية ، وجد كلا من والى الجزائر وفرنسا مخطئا • وقرر أن يلوذ بالصمت حتى يفتح السفير الفرنسى الموضوع •

كانت الحكومة العثمانية ترى أن والى الجزائر سيتفق هذه المرة مع فرنسا كما كان يحدث من قبل ، لذا قررت عدم التدخل فى هذه القضية (8) •

وبعد عدة أشهر ، قدمت رسالة من والى الجزائر للصدر الاعظم ، وكان حسين باشا،فى رسالته المؤرخة فى آخر جمادى الاولى 1243 الموافق 19 نوفمبر 1827 ، يكرر ما كتبه أمين الترسانة لخليل أفندى ، وبالاضافة الى ذلك ، كان حسين باشا يرجو إعطاء الاذن بتجنيد العساكر من منطقة إزمير للالتحاق بأوجاق الجزائر ، ويشرح باسهاب ، المعركة التى خاضتها السفن الجزائرية مع الاسطول المحاصر (9) •

لم يطلب الكونت قييومينو جوابا عن مذكرته التى قدمها بواسطة مترجمه• وانهمك اثرها الباب العالى فى أشغاله ، مؤمنا بأن أوجاق الجزائر الذى صمد

---

(7) B. A. ، المرجع السابق ، H. H. رقم 64 ، رسالة أمين الترسانة ابراهيم الى خليل أفندى المؤرخة فى 7 ذى الحجة 1242 الموافق 3 جويلية 1827 .

(8) **نفس المصدر** ، H. H. رقم 64 .

(9) **نفس المصدر** ، H. H. ، رقم 73 . هاته الوثيقة نشرت فى الجزائر مع ترجمتها الفرنسية ونقدها الخارجى ، راجع : KURAN, Ercümend, *La lettre du dernier Dey d'Alger au grand Vizir de l'Empire ottoman* المنشورة فى : R. A. ج . XCVI عدد . 430 ــ 431 ، سنة 1952 ، ص . 188 وما يليها .

أذن السلطان على اثر طلب خسرو باشا ، بتجنيد العساكر من غرب الاناضول لاوجاق الجزائر . ولكننا لم نصادف فى أرشيف رئاسة الوزراء ، سجلا لذهاب عساكر أتراك الى الجزائر أثناء الحصار ولكن من أطروحة جان سار (Jean SERRES) ، **المصدر السابق** ، جاء أن باى تونس ، حجز مائة وخمسين عسكريا تركيا قدموا من مصر لمدينة صفاقس بحجة الوقاية من الامراض . وعندما يؤخذ بنظر الاعتبار أن والى مصر محمد على باشا كان يتعاون مع فرنسا بشأن القضية الجزائرية ، يفهم أنه لم يكن قد أرسل العساكر ، ويحتمل ان يكون هؤلاء قد قدموا من الاناضول .

بنجاح ضد تهديد انقلترا قبل سنتين، سيقدر الآن على قهر عدوه مرة ثانية(I5).

ثم إن الدولة العثمانية ، بعد أن خسرت قواتها البحرية بهجوم الاسطولين الانقليزى والفرنسى عليها في معركة نافارين في 20 نوفمبر 1827 ، ودخولها الحرب مع روسيا بعد ذلك بقليل ، لم تدع لها مجالا للاهتمام بالقضية الجزائرية (II) .

ولم تستفد فرنسا من وضعية الدولة العثمانية الحرجة هاته ، حيث أرسلت جيشا للشرق مؤلفا من ثلاثين ألفا ، للاستيلاء على شبه جزيرة مورا ، ولهذا السبب اضطرت فرنسا أن تمدد حصارها لعدة سنوات على الجزائر بل وقامت بمحاولات عدة للتفاهم مع حسين باشا ولكن بدون نتيجة (I2) .

(I5) ضرب الاسطول الانقليزى بقيادة السرنيل (Neal) مدينة الجزائر لمدة يومين ، اثر خلاف نشأ في سنة 1824 بين الوالى والقنصل الانقليزى الا انه اضطر الى الانسحاب دون ان يتحصل على نتيجة . راجع : إلتر ، **المرجع السابق** ، ج . II ، ص . 79 .

(II) افادت فاجعة نافارين فرنسا في القضية الجزائرية كثيرا . وفى الواقع كانت الدولة العثمانية لا تستطيع ان تساعد ولاية الجزائر الا من البحر فقط ، وعلى اثر خسارة الدولة العثمانية اسطولها ، فان فرنسا أيقنت بان أوجاق الجزائر لن يقدر على الحرب بمفرده .

(I2) ESQUER, Gabriel, *Les commencements d'un Empire, la prise d'Alger* (1830) الطبعة الجديدة ، باريس . 1929 ، ص . I05 وما يليها .

2 • ـ محاولة الدولة العلية ايقاف الحملة ضد الجزائر •

بعد أن وقعت الدولة العثمانية مع روسيا معاهدة صلح أدرنة في سبتمبر 1829 ، تنفست الصعداء (13) • وبناء على رجاء سفير النمسا ، أرسل الباب العالي المفتي السابق خليل أفندي للجزائر مكلفا إياه ، تنبيه حسين باشا أن يظل محايدا في النزاع الناشب بين النمسا ومراكش،وأذن له بالقيام بمحاولات غير رسمية هناك لتأمين التفاهم بين الباشا وفرنسا (14) •

واقلع خليل أفندي من إزمير على متن باخرة انقليزية في أوائل نوفمبر 1829 ووصل الجزائر في أواخر الشهر نفسه ؛ ولكنه لم يوفق في مساعيه بخصوص إنهاء الخلاف القائم بين الاوجاق وفرنسا (15) • بيد أن السفير الفرنسي بين امتنانه بواسطة مترجمه لرئيس الكتاب ، على هاته المحاولة التي بذلتها الدولة العثمانية (16) • وطلب الكونت فييومينو في أوائل نوفمبر مقابلة سرية من رئيس الكتاب • وفي المقابلة التي تمت في الباب العالي يوم 1 ديسمبر 1829 ، قدم السفير الترجمة التركية لمذكرة أعدت من قبل ، الى الرئيس الكتاب برتيف أفندي (Pertev Efendi) (17) •

---

(13) ان معاهدة صلح أدرنة قد أمنت عدة مصالح لروسيا ، وكانت تنص على تحقيق استقلال اليونان ، شريطة أن تدفع هاته ، الجزية ، وقد أتمت اتفاقية لندن المضاة في 2 فيفري 1830 ، استقلال اليونان ، رافعة عنها الجزية . راجع : DRIAULT, E. *La question d'Orient* الطبعة الثامنة ، باريس . 1931 ، ص . 127 وما يليها .

(14) إلتر ، **المصدر السابق** ، ج . 97 .

(15) B. A. ، **المرجع السابق** ، H. H. رقم 46 ، كذلك جان سار ، **المصدر السابق** ، ص . 24 وما يليها .

(16) B. A. **نفس المصدر** .

(17) كان برتيف افندي ، الباشا فيما بعد ، رئيس الكتاب منذ سنة 1827 . وعقب تخليه عن هذا المنصب ، ارسل الى مصر موظفا ، وصار ناظرا للخزينة عند عودته . وفي اوائل سنة 1836 ، اصبح يدعى بناظر الاملاك ثم عزل في اواخر 1837 ، ومات بعد ذلك بقليل في منفاه بادرنة ، وقد انجب الباشا رجال دولة أكفاء . راجع : محمد ثريا ، **سجل عثماني** ، استنبول. 1308 الموافق 1890 ، ج . 11 ، ص . 38 .

كانت مذكرة السفير الفرنسي تبدأ بالاعتراف بأن أوجاق الجزائر تابع للدولة العثمانية • ولكنها بعد قليل كانت تبين أن الباشاوات لا ينصاعون للسلطان ، وأن فرنسا طلبت الترضية للاحتقار الذى لحقها فى شخص قنصلها بالجزائر ، كما تسلم المذكرة بحق الباب العالى فى تأديب أوجاق الجزائر • وكان الكونت ڤييومينو يقترح أن يؤول تأديب الاوجاق الى والى مصر محمد على باشا (I8) بحيث : « إن حملة قوتها عدة آلاف شخص يسمح بها فرمان من حضرة السلطان يحمل خط حضرته الشريفة ، ستحقق اجراء الخطة المقترحة فى وقت قليل » (I9) • وفى الختام أعلن أن فرنسا ستبدأ الحركة ضد الجزائر من البحر ومن البر ، اذا رفض الباب العالى هاته الخطة •

وبعد أن قرأ رئيس الكتاب المذكرة ، قال : إنه لا يجوز إرسال عساكر الى أرض مطيعة للدولة العثمانية ، ومع هـذا ، سيكلف بارسال موظف تركى يصحبه موظف فرنسى لنصح الجزائريين ، الا ان الكونت ڤييومينو أصر على إعطاء اذن لوالى مصر بارسال جيش الى الجزائر ، باعتبار أن الجزائريين عصاة• كما أعلم ، أن الاسطول الفرنسى على استعداد لمساعدة قوات محمد على باشا * •

ولم يتوان برتيف أفندى فى تكرار استحالة اصدار الاذن الذى طلبه السفير على أنه قبل مرور الموظف التركى الذى سيذهب الى الجزائر ، على مصر ، وسيطلع على رأى محمد على باشا بشأن الحملة على الجزائر • وقد قبل السفير أخيرا ، مهمة الموظف التركى المرسل الى الجزائر وأنه سيعلم واليها أنه فى حالة عدم انصياعه للأمر السلطانى ، فانه ستساق ضده ، حملة عسكرية • كما قبل أيضا اعطاء أمر بالتحرك ضد الجزائر من قبل والى مصر فى حالة عدم

(I8) قدم محمد على باشا الى مصر كعسكرى من منطقة كافالا (Kavala) وفى سنة 1805 اصبح واليها بعد عدة مؤامرات . أخمد الباشا ثورة الوهابيين فى الحجاز ، وخدم الدولة (العثمانية) بنجاعة اثناء عصيان شبه جزيرة مورا . واخيرا كسب لسلالته ولاية مصر بعد تمرده على السلطان فى سنة 1831 ـ 1839 ومات سنة 1848 . راجع : محمد ثريا ، **نفس المصدر** ، ج . 4 ، ص . 292 .

(I9) DOUIN, Georges, *Mohamed Ali et l'expédition d'Alger*, 1829-1830 القاهرة ، 1930 ص . 49 وما يليها .
مذكرة السفير لرئيس الكتاب بتاريخ ديسمبر 1829 ، رقم الوثيقة 15 .

(*) كان محمد على يقترح استعمال 40 الف رجل (كذا) للاستيلاء على طرابلس الغرب وتونس والجزائر ، وانه سيحكم هاته الولايات الثلاث باسم السلطان وسيدفع الضرائب وسيسدد الديون السابقة ، كما انه سيمنع فى المستقبل تسليح موانىء هاته المناطق ، اما فى حالة الحرب ، فسيجبر الاهالى على الامتثال والطاعة للنظام المتبع فى الدول المتحضرة » .
راجع : H. A. ، ملف 708 ، **المصدر السابق** . **المعرب** .

إطاعة الداى للسلطان · وقبل أن ينتقل البحث الى موضوع آخر ، أضاف رئيس الكتاب بأنه سيعلم السفير بالارادة السلطانية فى غضون أيام (20) ·

وفهم من تلك المقابلة أن الحكومة الفرنسية مقتنعة بأنها لن تصل الى نتيجة ما ، بحصارها البحرى لمدينة الجزائر ، وكانت تتمنى وجود حل لانقاذ شرفها عندما خططت لتأديب أوجاق الجزائر بواسطة محمد على باشا · وقد تمنى رئيس وزراء فرنسا ووزير خارجيتها البرنس دى بولينياك ذلك المشروع عندما أعلم محمد على باشا ، قنصل فرنسا القديم دروفتى (Drovetti) بالاسكندرية ، بأنه مستعد أن يواجه أوجاق الجزائر ·

وفى الحقيقة كان محمد على باشا يملك جيشا مدربا على الطريقة الاوروبية · وقد أظهر قدرته فى المعارك التى خاضها أثناء عصيان مورا ، وعلى الرغم من أن والى مصر فقد قسما كبيرا من أسطوله فى مأساة نافارين ، فقد سحب جيشه من مورا دون أخذ اذن من السلطان · وكان محمد على باشا يستطيع استعمال هذا الجيش لاحتلال الجزائر بدل استعماله لفتح سوريا التى كان يطمح الى ضمها لولايته من ذى قبل (21) ·

وكان البرنس دى بولينياك (Prince de Polignac) يظن أن السلطان سيرضى بسهولة باصدار أمر يجعل حركة والى مصر شرعية (22) ؛ الا أن الرفض الذى لاقاه الكونت ڤييومينو فى مقابلته مع رئيس الكتاب ، كشف عن انخداع رئيس وزراء فرنسا · وكان السلطان محمود الثانى قد أمر ببحث

---

(20) B. A. ، **المصدر السابق** ، H. H. رقم 1 ، دوين ، **المصدر السابق** ، ص . 46 وما يليها ، رقم الوثيقة 14 . رسالة السفير الى وزير الخارجية كانت بتاريخ 2 نوفمبر 1829 .

(21) ALTUNDAG, Dr. Šinasi, *Kavalali Mehmed Ali Paša îsyansi, Misir meselesi* (ثورة محمد على باشا الكاولو والمسألة المصرية ـ 1831 ـ 1841) أنقره . 1954 ، ج . 1 ، ص . 28 وما يليها . دوين ، **المصدر السابق** ص . 6 وثيقة رقم 2 ، خطة دروفتى (Drovetti) بشأن الجزائر مؤرخة فى 1 سبتمبر 1829 .
ان توصية قنصل فرنسا بالاسكندرية احتلال والى مصر الجزائر كانت فى سنة 1829 ، راجع : دوين ، **نفس المصدر** ، وكما جاء فى التقرير الذى كتبه القنصل الانقليزى وارسله الى حكومته بتاريخ 18 اوت 1829 ، راجع : PURYEAR, Vernon John, *France and the Levant, from the Bourbon Restoration to the Peace of Kutiah,* بركلاى ـ لوس انجلوس . 1941 ، ص . 113 ، تثبت هاته الوثائق ان اول من فكر بخطة تاديب محمد على باشا لاوجاق الجزائر ، هو دروفتى .

(22) دوين ، **المصدر السابق** ، ص . 16 الوثيقة رقم 5 . تعليمات البرنس دى بولينياك الى القنصل ميمو (Mimaut) بالاسكندرية المؤرخة فى 19 اكتوبر 1829 .

هذه المسألة من قبل وزير البحرية خسرو باشا ورئيس الكتاب معا ، وذلك لاتخاذ الدولة العثمانية خطة عمل ضد تكليف سفير فرنسا بشأن الجزائر . وقد تم هذا البحث بينهما ، وتقرر ايفاد موظف لنصح والى الجزائر (كما قال برتيف أفندى للسفير فى مقابلتهما السابقة) على أن لا يتدخل والى مصر فى هذا العمل بأى حال من الاحوال (23) .

واتفق في المقابلة التى تمت بين وزير البحرية ورئيس الكتاب على ارسال قائد حربى أو معلم ديوان ؛ وقد رأى السلطان من المناسب تعيين طاهر باشا (24) لهاته المهمة ، اذ أنه بحار جزائرى الاصل . وعليه فقد أمر طاهر باشا الموجود فى تلك الاثناء بشومنو (Šumnu) بالعودة الى استنبول بقصد الاعلاء من شأنه حيث وجهت اليه رتبة الولاية (سنجق العلائية) (25) وأخبر رئيس الكتاب ، الكونت ڤييومينو بواسطة مترجم السفارة الفرنسية بأنه سيرسل طاهر باشا الى الجزائر ، وقد أجاب السفير بأن هذا العمل يتعلق بالباب العالى ولا يهم فرنسا ، ولم يغير السفير قراره بعد ذلك (26) .

وكان يفهم من ذلك أن السفير اختار ترك هاته المسألة . وفى تلك الاثناء انسحب برتيف أفندى من رئاسة الكتاب فى أواسط فيفرى 1830 ونصب بدلا منه حميد باى (27) وكيل الكتخداى فى الجيش الهمايونى .

وبعد وصول رئيس الكتاب الى إستنبول بيوم ، قدم مترجم السفارة الانقليزية مذكرة من السفير الى الباب العالى ، وفى القسم الاول من المذكرة كان السفير يخبر عن خلاصة الرسالة التى وجهها السفير الانقليزى بباريس لحكومته ، حيث كشف عن المعاهدة بين الحكومة الفرنسية ومحمد على باشا

---

(23) B. A. ، المرجع السابق ، نفس الوثيقة .

(24) ويلقب بابن تشنج Çenge ، عمل قائدا فى معركة نافارين وشارك فى الحرب الروسية 1828 ـ 1829 ، ثم وزيرا للبحرية من سنة 1832 حتى 1836 حيث عين بعدها واليا فى طرابلس الغرب سنة 1836 وبقى فى هذا المنصب حتى اوائل 1837 . وفى سنة 1841 عين من جديد وزيرا للبحرية ، حيث بقى بهذا المنصب سنتين ، ومات سنة 1847 ، راجع ، محمد شريا ، المرجع السابق ، ج . III ، ص . 148 .

(25) B. A. المصدر السابق ، H. H. رقم 52 .

(26) دوين ، المصدر السابق ، ص . 55 ، وثيقة رقم 16 ، عن رسالة الكونت ڤييومينو الى وزير الخارجية الفرنسية بتاريخ 8 نوفمبر 1829 .

(27) رجل دولة ضعيف ، كان قد عمل من قبل فى رئاسة الكتاب ، وظل فى منصبه حتى مارس 1830 . راجع : احمد رسمى سليمان فائق ، خليفة الرؤساء وذيلهم ، استنبول 1269 / 1852 ص . 192 وما يليها .

بشأن ارسال عساكر للجزائر من قبل والى مصر (28) • وفى مذكرة السفير غوردن هاته ، كان يعلن أن أنفلترا تعارض عقد فرنسا معاهدة كهاته مع والى مصر ، وكان يوصى بارسال طاهر باشا فورا الى الجزائر على أن يمر علــى الاسكندرية و « يعلن أن السلطان أمر بحل النزاع الناشب بين أوجاق الجزائر وفرنسا دون اراقة الدماء ، ومع تصريحه هذا لمحمد على باشا ، عليه أن يعلمه أيضا بمنع ارسال قوة عسكرية وعلى طاهر باشا أن يذهب بعدها الى الجزائر ، ويوضح للداى الاخطار التى سيتعرض لها فى حالة عدم إعطائــه ترضية عن الحقارة التى لحقت فرنسا » (29) •

ويكون من السهل فهم السبب فى تصرف السيد غوردن بهذا الشكل ، اذ أن الحكومة الانقليزية كانت تعلم جيدا أن النفوذ الفرنسى سيزداد فى البحر الابيض المتوسط فى حالة احتلال محمد على باشا ، الواقع تحت نفــوذ الفرنسييــن ، للجزائر • وما من شك أن تفوق أنقلترا البحرى باحتلالها مضيق جبل طارق ومالطة وكورفو سيتعرض للخطر بازدياد النفوذ الفرنسى فى البحر الابيض المتوسط ، ومن الطبيعى أن ترفض ذلك انقلترا ، وكان لرغبة هاته الدولة فى تامين طريق الهند ، تأثير فى ذلك •

ونتيجة لذلك لم تتأخر انقلترا عن ارسال سفينتين حربيتين بقيادة أميرال (30) لمداخل مدينــة الجــزائر • وعاد مترجم السفــارة الانقليزية للباب العالى بعد يومين ، وقال ان السفير يريد جوابا كتابيا عن مهمة طاهر باشا • كما أرسل السفير النمساوى مترجمه ، مخبرا الباب العالى باتفاق فرنسا ووالى مصر بشأن ارسال حملة للجزائر (31) • وكان سبب هذا التحرك من النمسا هو عدم ميل رئيس وزرائها البرنس ميترنيخ (Prince Metternich) لاحداث أى تغيير فى منطقة البحر الابيض المتوسط وللحفاظ على الوضع القائم بأوروبا (32) •

---

(28) كان السبب الرئيسى للمعاهدة ، سياسى ، اذ كان الباشا يرغب فى التوسع . ولكنه كان هناك سبب اقتصادى . فالقوافل القادمة من السودان تفضل الوصول الى البحر الابيض المتوسط عن طريق طرابلس الغرب بدل مصر ، تهربا من دفع الضرائب الباهضة للباشا ، وكان الوالى يفكر باحتلاله الجزائر يكون قد احتل تونس وطرابلس الغرب أيضا ، وبذا ستعود اليه ضرائب القوافل القادمة من السودان ، راجع : سار ، **المصــدر السابــق** ، ص . 82 وما يليها .

(29) H. A. **المصدر السابق** ، مذكرة السفير غوردن الى الباب العالى ، غير مؤرخة .

(30) جان سار ، المصدر السابق ، ص . 19 ، كذلك بوبيار ، **المصدر السابــق** ، ص . 128 وما يليهــا .

(31) B. A. **المصدر السابق** ، H. H. رقم 21 .

(32) جان سار ، **المصدر السابق** ، ص . 21 .

كان الباب العالى يدرك أهمية الامر وجديته • وقد أرسل خلوصى باشا(33) قائمقام الصدارة ، المذكرة الانقليزية الى وزير الحربية ثم الى برتيف أفندى رئيس الكتاب السابق ، وبعد دراستها ، أقر أنه يكون من المناسب أن يسافر طاهر باشا فورا ، وأن يرسل انذار الى محمد على باشا لسحب يده من قضية الجزائر ، وأن يعطى جواب كتابى الى سفير انقلترا عن قرارات الدولة العثمانية هاته ، وأضافا رأيهما بوجوب ابلاغ مترجم السفارة الفرنسية مقدما باقلاع طاهر باشا الى الجزائر (34) •

وفى أوائل مارس 1830 قدم مترجم السفارة الفرنسية الى الباب العالى ، وأخبره رئيس الكتاب أن طاهر باشا تأخر عن السفر ، فى انتظار تعيين الموظف الفرنسى الذى سيرافقه ، وبما أنه لا يستطيع الانتظار أكثر ، فلقد أقلع سائلا السفارة الفرنسية عما اذا كان الموظف سيتلاقى مع الباشا هنا أم فى الجزائر ؟

وفى المساء التالى أحضر المترجم جواب السفير ، وفيه يلقى الكونت فييومينو تبعة تأخير سفر طاهر باشا على الدولة العثمانية ، ويوضح أنه من غير الممكن ارسال موظف فرنسى معه • وعليه فقد طلب حميد باى من السفير الفرنسى ، كتابة رسالة الى قائد الحصار فى الجزائر يخبره فيها بمهمة طاهر باشا • وفى يوم 6 مارس أخبر مترجم السفارة بأن السفير قبل توجيه رسالة الى قائد الحصار الفرنسى بعدم منع طاهر باشا دخول مدينة الجزائر ، وسترسل هاته الرسالة الى الباب العالى (35) •

ومن جهة أخرى أرسل رئيس الكتاب الى السفير الانقليزى غوردن ، مذكرة اطلع عليها السلطان بنفسه ، الا أن مترجم السفارة ، اعاد فى نفس المساء تلك المذكرة المؤرخة فى 23 رمضان 1245 الموافق 18 مارس 1830 ، للباب العالى ،

---

(33) كان الصدر الاعظم رشيد محمد باشا موجودا فى روماليا (Roumalie) لاخمادالثورات فى البانيا ، وقد تعب كثيرا فى التغلب على مصطفى باشا والى اشكودا الثائر ، وأسره زمانا طويلا . واثرها عبر الى الاناضول لاخماد عصيان والى مصر سنة 1832 . راجع : يورقا ، (Osmanli Tarihi) (تاريخ العثمانيين) . ترجمة بيكال ، انقرة . 1948 ، ص . 360 وما يليها . ولهذا السبب ظل خلوصى باشا ، قائمقام الصدر الاعظم فى استنبول الى اوائل سنة 1833 ، ثم عين الباشا فى وزارة الخارجية ومات سنة 1837 ، راجع : محمد ثريا ، **المصدر السابق** ، ج . II ، ص . 281 .

(34) B. A. ، **نفس المصدر ، نفس الوثيقة** .

(35) B. A. ، **نفس المصدر** ، نفس الوثيقة ، راجع : دوين ، **المصدر السابق ، ص** . 186 وما يليها ، رقم الوثيقة 68 ، والوثيقة رقم 70 ، ص . 189 ، رسالتا الكونت فييومينو الى وزير الخارجية الفرنسية مؤرختان فى 5 و 7 مارس 1830 .

راجيا الحذف من متن المذكـرة الفقرات التى تبين أن السفير قد بعث تحذيـرا فيها من قبل ٠

ولم تر الدولة العثمانية مانعا من اجراء التعديلات المطلوبة ٠ وكتبت مذكرة من جديد وسلمت للمترجـم (36) وفيها يوضح الباب العالى أن التدبيـر الذى اقترحه السفير الفرنسى لحل النزاع الناشب بين فرنسا ووالى الجزائر ، ليس مناسبا ٠ ومما جاء فيها : « قرر ارسال موظف من طرف الدولة العلية لتسوية النزاع عن طريق المباحثـات ، مع مأمـور يعين من قبـل الدولـة الفرنسيـة لايقاظ الجزائريين ونصحهم ٠ وبناء على ذلك ، انتخب طاهر باشا لارساله الى الجزائر محملا بوصايا لابلاغها الى الجزائريين وأن يسافر على متن بارجة حربيـة همايونية الى الجزائـر ، وأمر أن يمر ، اذا أمكـن ذلك ، عـلى اسكنـدريـة ليخبر قنصل فرنسا بها أن صاحب الجلالة حضرة والى مصر ، لا يتمنى الا الخير الدائم للدولة العلية ؛ وقد نفذنا ذلك بتحرير كتاب بشأن هاته المذكرة » (37)٠

وبعد أن أرسلت هاته المذكرة ، بعث قائمقام الصدر الاعظم رسالة مطولة الى مصر ، وفيها يبين الادوار التى مرت بها القضية الجزائرية منذ بدايتها ، طبقا لما أشار به وزير البحرية وبرتيف أفندى ، كمـا يذكـر أن سفيرى انقلتـرا والنمسا أخبرا الباب العالى ، أن فرنسا اتفقت مع محمد على باشا لارسال حملة عسكرية ضد أوجاق الجزائر * وفيها يخبر : ان قيامه بهذا الامر « فى وقت

(36) .B. A ، **المصدر السابق** ، .H. H رقم 66 .

(37) **نفس المصـدر .**

(*) شاع فى هذا الوقت نبا الحملة المصرية على طرابلس الغرب وتونس والجزائر ، وقد بعث حسين باشا داى الجزائر برسالة الى والى طرابلس الغرب ، يوسف بن على مستفسرا عن صحة ذلك ، وقد رد عليه يوسف برسالة نقتطف منها ما يلى :
« بلغنا جوابكم السعيد وخطابكم المفيد ، ففككنا ختامه وقرأناه ، وتشرفنا بلذيذ لفظه ومعناه واستفدنا منه ما أنتم عليه من استقامة الاحوال وبلوغ الآمال وعرفتمونا بأنه بلغ سيادتكم ان عندنا حركة بحرية وبرية ومتهيئين لملاقاة صاحب الايالة الشرقية (والى مصر) ، وتحيرت سيادتكم من وقوع هاته الاحوال وطلبتم منا أن نعرفوكم (كذا) عنها تفصيلا لا اجمالا ، فلتعلمون (كذا) رعاكم الله ان قبل هذا الكتاب عرفنا السيادة بجواب مضمونه أن هاذه (كذا) الاخبار وردت علينا من ساير (كذا) الاقطار وانكبت فى الكزاطات (الجرائد) عند القناصل ومتحققين وقوعها من الحاصل . وعلى ما قيل ان الحامل لوالى مصر على ذالك (كذا) أن عدو الله الفرنسيين أغراه على أخذ الوجاقات وسهل له الطرق والمسالك وتحملوا له بأن يكونوا فى عونه على تتميم الغرض الذى طلب ويستقل بالملك ويصير سلطان أفركه (كذا) العرب بعدما التزموا بأن يمدوه بجميع ما يحتاجه من آلة الحرب والعساكر ويوجه معهم ابنه ابراهيم باشا ليمكنوه ولاية الجزائر ، فلما سمعنا بذالك (كذا) شرعنا على تجهيز الامحال وتحضير ما يلزمنا من آلة الحرب والقتال وبعثنا لكافة

الشيخوخة هذا ، على سفك دمـاء المسلمين مناف لرضا البارى ، وأن العقل لا يقبل بحال من الاحوال عملهم السيىء المنافى لارادة الله » • ثم يبين أنه أرسل طاهر باشا الى الجزائر لحل النزاع ، وينبه والى مصر أن يعلم قنصل فرنسا بالاسكندرية ، بأن لا يتدخل فى هاته المسألة • وأنهى المذكرة قائلا : « ما هو المنشأ الحقيقى للحوادث المذكورة؟هل يعنى أن الباب العالى قد وجه الى سيادتكم طلبا فى ذلك ؟ وعلى تقدير ذلك بأى وجه عوملت جوانب هذا الولاء ؟ أرجو أن تشرحوا لنا كيفية ذلك بايضاح وبسرعة » • (38) •

وعلى أية حال فقد أقلع طاهر باشا من استنبول ومعه كاتبه ومترجمه على متن « نسيم الظفر » البارجة الحربية فى السادس عشر من أفريل • وقد سلمه السفير الفرنسى الكتاب الذى وعده به (39) ، وأخذ معه أمرا يحمل خط يـد السلطان نفسه ، موضحا مهمته (40) •

وبين السلطان لطاهر باشا كيف يجب عليه أن يتصرف وحمله تعليمـات مفصلة ، مؤلفة من خمسة بنود • وهى :

البند الاول : عندما يصل الباشا الى المياه الاقليمية الجزائرية يحاول التباحث مع قائد الحصار الفرنسى لتسوية الخلاف •

البند الثانى : فان رفض القائد فعليه أن يطلب من الحكومة الفرنسية تعيين موظف له صلاحية التباحث مع طاهر باشا ويدخل مدينة الجزائر •

أهل أوطاننا بأن يقضوا لوازم السفر ويكونوا على بصيرة وحذر فاذا قدر الله بقدومه علينا نعارضوه (كذا) بعساكرنا فى حدود العمالة ونذيقوه (كذا) وبال أمره ويرجع خايبا (كذا) ان شاء الله لا محالة ونجاوزوه (كذا) بحول الله وقوته بفعله وعلى كل حال فلا يحيق المكر السيىء الا بأهله ، وان هو اكتفى بمملكته وتأخر عن الجدال فهو المراد وكفى الله المؤمنين القتال ولا نسعوا والله الا فى حقن دماء المسلمين ولا مرادنا ان يكون بين الاسلام سيفين مختلفين (كذا) ، والفتنة نار وواقدها لا يكون الا من الفجار .. » هاته الرسالة بتاريخ 24 ذى القعدة 1245 الموافق 16 جوان 1830 ، راجع هاته الوثيقة بأرشيف وزارة الحربية بفنسان (Vincennes) بباريس ، (A. M. G.) ملف الجزائر رقم . 1 . H **المعـــرب** .

(38) أحمد لطفى ، **تاريخ** ، استنبول ، 1329 ـ 1328 الموافق 1873 ـ 1874 ، ج . II ، ص . 284 وما يليها ، رقم الوثيقة 21 . صورة الرسالة المكتوبة لوالى مصر بشأن قضية الجزائر

(39) أحمد لطفى ، **تاريـخ** استنبول 1328 ـ 1329 الموافق 1873 ـ 1874 ، ج . II ، ص . قائد الحصار الفرنسى بتاريخ 22 مارس 1830 .

(40) B. A. ديوان همايون مهمة دفترى رقم 246 ، ص . 128 ، ومع انه نشر فى كتاب إلتر ، **المصدر السابق** ، ج . II ، ص . 105 صورة هذا الامر المؤرخ فى اواخر رمضان 1245 الموافق اواخر فيفرى 1830 ، الا ان بعض الكلمات قرنت خطأ ، كما ترك عشرون سطرا دون ترجمة .

البند الثالث : يبين طاهر باشا للعلماء ولاعيان الاوجاق بالجزائر الاخطار التى ستنتج عن الحرب بين الوالى وفرنسا • كما يذكر بأن السلطان طلب حل النزاع •

البند الرابع : اذا كان الجزائريون يرون أن اقتراحات فرنسا شديدة ، فان على طاهر باشا أن يتباحث مع الموظف الذى سترسله الحكومة الفرنسية لهذا الشأن •

البند الخامس : واذا لم يتوصل الطرفان الى تفاهم فان على طاهر باشا ان يخبر الباب العالى عن الوضعية بتوجيه رسالة الى السلطان ، ولكن عليه قبل كل شىء أن يعمل ما بوسعه لانجاح مهمته (41) •

وجاء رد والى مصر على رسالة قائمقام الصدر الاعظم بعد أيام من اقلاع طاهر باشا ، وفيه كان محمد على باشا يخبر بأن لا أصل للرواية القائلة بأنه عقد معاهدة مع فرنسا للهجوم على أوجاق الجزائر ، كما هو شائع ، وأنه صرح لقنصل فرنسا الذى يشوقه الى هذه الحركة : « أنتم مسيحيون ، أما نحن والجزائريون فمسلمون ، وسماع أقوال كتلك ونحن ذوو دين وأمة وشريعة ودولة واحدة ، لا يتلاءم مع ديننا ودولتنا » (42) •

وحمل الباب العالى ادعاء والى مصر على الصدق ، فلم ير من المناسب مناقشة ذلك مع سفيرى انقلترا والنمسا • وكانت أركان الدولة ممنونة بهذه النتيجة ، ذلك أن الهدف الذى وضعوه نصب أعينهم قد حققوه بعدم تدخل والى مصر فى القضية الجزائرية • واعتبر ذلك نجاحا سياسيا •

ثم إن مترجم السفارة الفرنسية أعلم الباب العالى فى 16 مارس 1830 ، أن حكومته قررت أن ترسل جيشا الى الجزائر (43) • ومع هذا فان الحكومة

---

(41) لطفى ، **المصدر السابق** ، ج . II ، ص . 288 وما يليها ، رقم الوثيقة 22 ، صورة التعليمات المعطاة لطاهر باشا .
ومع أنه نشر فى الكتب الاجنبية أن الباب العالى سلم طاهر باشا تعليمات سرية بعزل واعدام الوالى ، اذا تطلب الامر ، فاننا ، من جانبا ، لم نعثر فى المصادر التركية على قيد لهذا ، راجع : أسكر ، **المصدر السابق** . ص . 257 ، جان سار ، **المصدر السابق** ، ص . 29 بورجوا ، **المصدر السابق** ج. II ، ص . 783 .

(42) B. A. ، ملف رقم 78 ، H. H. رقم 6 . رسالة محمد على باشا لقائمقام الصدر الاعظم المؤرخة فى II شوال 1245 الموافق 5 أفريل 1830 ، قد نشرت فى كتاب : دوين ، **المصدر السابق** ، المدخل ص . 84 الترجمة الفرنسية عن أصلها الموجود فى أرشيف قصر عابدين بالقاهرة .

(43) H. A. ، **المصدر السابق** ، صورة التعليمات التى سلمها الكونت ڤيومينو لمترجمه ، نشرت هاته الوثيقة من قبل ، دوين ، **المصدر السابق** ، ص . 245 . رزمة الوثيقة رقم 83 .

الفرنسية تأمل كثيرا أن يحل طاهر باشا الخلاف بين الوالى وفرنسا ، وأنها ستسكت عن القضية لغاية ورود رسالة من الباشا * .

وفى الوقت الذى كانت فيه الدولة العثمانية تنتظر بأمل نتيجة مهمة طاهر باشا ، كانت الحكومة الفرنسية تعمل دون كلل ؛ اذ عندما فهم برنس دى بولينياك فى مارس 1830 أن والى مصر لا يستطيع أن يقوم بالحملة التأديبية على الجزائر ، بين لسفراء أوروبا بمذكرات رسمية ، أن فرنسا تستعد لارسال حملة عسكرية للجزائر لأخذ ترضية عن الحقارة التى لحقتها . وفى هاته المذكرات المؤرخة فى 12 مارس 1830 ، كان يبين أن فرنسا ستستشير حكومات أوروبا بشأن النظام الذى سيقام هناك فى حالة تهديم أوجاق الجزائر (44) .

ما كانت انفلترا لتكتفى بوعد عام فقط ، اذ كانت تخاف أن تتزعزع سلطتها فى حوض البحر الابيض المتوسط ، بعد احتلال فرنسا للجزائر ، فأرسل وزير خارجيتها اللورد أبيردن (Aberdeen) تعليمات لسفيره بباريس يذكره بحق الدولة العثمانية فى اوجاق الجزائر ويطلب ضمانات رسمية من البرنس دى بولينياك بخصوص عدم استقرار فرنسا بالجزائر . واثر ذلك وقعت مذكرات شديدة اللهجة فى أوائل جوان 1830 بين رئيس وزراء فرنسا ووزير خارجيتها وبين السفير الانقليزى (45) ، ولكن رئيس وزراء فرنسا استطاع رغم تهديدات السفير كلها أن ينجح فى عدم إعطاء الضمانات الخطية التى طلبها اللورد أبيردن .

(*) كانت السفارة الفرنسية باستنبول متأكدة أن مهمة طاهر باشا سوف لن تؤدى الى أية نتيجة ، فقد حاولت تأخير سفره لعدة أسابيع عندما مانعت تسليم طاهر باشا رسالة الى قائد الحصار ، ولم تسلم هاته الرسالة الا بعد أن تأكد السفير من عزم دولته على القيام بحملة عسكرية من جهة ، ومن جهة أخرى ، « فأن طاهر باشا المكلف بالمهمة سوف لن تصحبه الا باخرة حربية من الدرجة الثانية ولا يرافقه الا عدد قليل من الرجال (كذا) ومن العتاد والآلات الحربية الضرورية لخدمته .. » راجع : H. A. ، ملف 708 ، رسالة السفير الفرنسى الى وزير الخارجية التركى . **المعرب** .

(44) نشرت هاته الوثيقة كاملة فى كتاب : تستا ، **المصدر السابق** ، ج . 1 ، ص . 446 وما يليها ، رقم الوثيقة : 49 .

فكر البرنس بولينياك من قبل ، باحتلال طرابلس الغرب وتونس من قبل والى مصر،وكان هناك عامل فى تغيير خطته الاولى . وبالرغم من أنه بدأ بتنفيذها الا أن محمد على باشا رفض التكليف الثانى ، ورفض مصر لذلك كان بسبب ممانعة قنصل انقلترا . وقد أعلم هذا الاخير رسميا والى مصر فى 8 مارس 1830 بأن انقلترا لا تؤيد تعاون فرنسا مع الوالى ، راجع : سار ، **المصدر السابق** ، ص . 22 . وبوريار ، **المصدر السابق** ، ص . 131 .

(45) LE MARCHAND, E., *L'Europe et la conquête d'Alger,* باريس ، 1913 ، ص . 184 وما يليها .

نشر متن هذه المذكرات كاملا فى كتاب : تستا ، **المصدر السابق** ، ج . 1 ، ص . 448 وما يليها . رقم الوثائق : 50 ـ 51 ـ 53 ـ 55 ـ 57 ـ 61 .

3 • ــ ابلاغ الباب العالى باحتــلال الجيش الفرنسى للجزائر •

بالرغم من مرور أشهر على سفر طاهــر باشا الى الجزائر ، لـم يأت منــه اى خبر ، فأخـذ أركـان الـدولـة يتوجسون خيفـة ، وقـرروا بنـاء علـى رغبة السلطان توجيه رسالة الى طاهر باشا بواسطة السفارة الفرنسية •

الا أنه فى هذه الاثناء وصلت رسالة من طاهر باشا عن طريق أزمير ، وفيها يعلم طاهر باشا أن قائد الحصار لم يسمح له بدخول الجزائر ، مما اضطره للذهاب الى طولون (Toulon) والمكوث بها • ويوضح أيضا أنه أثنــاء اقترابه من مرفأ طولون ، شاهد أسطولا فرنسيا متجها الى شمال افريقيا ومحملا بالعساكر والذخيرة • وأضاف الباشا فى رسالته أنه أخبر وزيــر الخارجية الفرنسية برسالة عن مهمته فى الجزائر • وفى جواب الوزير الفرنسى، كان يتساءل عما اذا كان الباشا لديه الصلاحية التامة للتباحث بشأن الجزائر أم لا ؟ وأضاف الباشا فى رسالته للباب العالى ، أنه أعطى الجواب اللائق لوزير الخارجية الفرنسية ولكنه لم يتسلم بعد ردا عليه (46) * •

---

(46) B. A. ، **المصـدر السابـق** ، اوراق رقم . 31 من رسالة طاهر باشا المؤرخة فى 7 محرم 1246 الموافق 29 جوان 1830 .

(*) ان الحكومة الفرنسية قد تعمدت اهمال مهمة طاهر باشا وقد عبرت : « عن دهشتها لتعيين رجل (كذا) لا يفهم أبدا ما يقال له .. » وبذلك لم تعترف به رسميا ، راجع : A. E. ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية بباريس ، قسم السلك الديبلوماسى ، دفتر تركيا رقم . 261 ، ص . 154 . رسالة من وزير خارجية فرنسا الى سفيره باستنبول . قارن أيضا الوثيقة : B. A. , H. H. 46895.

ومن جهة أخرى ، حاول طاهر باشا الرسو فى ميناء تونس يوم 10 ماى 1830 ليلتحق بعد ذلك الى الجزائر الا ان الباى حسين ومن ورائه قنصل فرنسا ، منعاه من النزول بتونس .

ويبدو أنه لو تمكن طاهر باشا من ذلك وتسنى له عبور الاراضى التونسية والالتحاق بالجزائر ، لترتب عن ذلك حل النزاع سواء أكان ذلك بعزل حسين باشا داى او اعدامه ، ولتغير مصير الجزائر وسلمت من احتلال الفرنسيين ، ولكان لغرب البحر الابيض المتوسط نظام سياسى آخر من شأنه أن لا يبكر بالتوسع الاستعمارى لافريقيا من جهة ، ومن جهة أخرى فان الباب العالى سيتولى مصير ربط الجزائر بالدولة العثمانية كما كان الشأن بالنسبة لطرابلس الغرب سنة 1835 حين وضعت يدها على البلاد وجعلتها ولاية عثمانية مباشرة حتى الاحتلال الايطالى سنة 1911 I **المعـرب** .

ولما كانت هاته الرسالة قد تأخرت كثيرا بالنظر الى تاريخ ارسالها ، فانها لم تضع حدا لمخاوف الباب العالى ، بل على العكس ولدت دهشة رهيبة لدى أركان الدولة • الا أنه بعد زمن قليل ، قدم مترجم السفارة الفرنسية لرئيس الكتاب ورقة مكتوبة باللغة الفرنسية،هى نسخة من التعليمات المؤرخة فى 6 أوت 1830 والتى أعطاها السفير الفرنسى الكونت ڤييومينو الى مترجمه ، وفيها يخبر أن الجيش الفرنسى احتل مدينة الجزائر (47) •

ذكر الترجمان أن السفير يريد مقابلة سرية مع رئيس الكتاب فى قصر بابك (Bebek) ، وبالاضافة الى ذلك ترك للباب العالى نسخة من كتاب أرسله رئيس وزراء فرنسا ووزير خارجيتها الى الكونت ڤييومينو ، وفيها يوضح البرنس دى بولينياك مخابرته مع طاهر باشا • وعلاوة على ذلك يعلن عن مغادرة طاهر باشا طولون فى الخامس من جويلية واقلاعه متجها الى الشرق (48) •

---

(47) H. A. ، المصدر السابق ، صورة التعليمات التى أعطاها الكونت ڤييومينو الى مترجمه. فى 14 جوان 1830 نزل جيش تعداده 37.000 بقيادة وزير الحربية الفرنسية الكونت بورمن (Bourmont) الى سيدى فرج الواقع غرب الجزائر ، وبعد تحاربه مع الجيش التركى (كذا) فى عدة معارك ، دخل مدينة الجزائر فى 5 تموز 1830 ، راجع : أسكر ، **المصدر السابق** ، ص . 285 وما يليها .

(48) B. A. **المصدر السابق** H. H. رزمة رقم 59 ، ترجمة رسالة وزير الخارجية الفرنسية الى الكونت ڤييومينو المؤرخة فى 3 ــ 15 (كذا) جويلية 1830 .

4 • ـ محاولة الدولة العلية استرداد مدينة الجزائر •

وهكذا علم الباب العالى بأن الحكومة الفرنسية تصنعت جهلها بمهمة طاهر باشا وراوغته فى طولون الى أن احتل الجيش الفرنسى الجزائر • لم ير قائمقام الصدارة من المناسب اجراء مقابلة بين رئيس الكتاب والسفير الفرنسى فى قصر باباك ولذا اقترح على السفير اجراء المقابلة فى المنزل الصيفى لرئيس الكتاب الواقع على البحر ، بحجة أنه مساعد اكثر للسرية • ولما قبل السفير ذلك ، قدم مع مترجمه لمنزل حميد باى فى 14 أوت 1830 • وقرر الباب العالى الاستماع الى أقوال السفير دون أن يرد عليه بأى شىء فى الوقت الحاضر(49) .

وفى أول المقابلة ، وضح السفير أن الجزائر أصبحت تحت التصرف الفرنسى بموجب الأصول الحربية ، ومع ذلك ، أخبر رئيس الكتاب عن رغبة الحكومة الفرنسية بحث هاته القضية مع الدولة العثمانية مع أخذها بنظر الاعتبار صداقتها معها ، وأضاف السفير أنه أحضر مذكرة سيقرؤها المترجم، تبين حسن نوايا الحكومة الفرنسية •

وبعد أن صرح حميد باى فى تلك المقابلة بأنه غير مكلف بالرد ، لم يضبط نفسه من الاعتراض على وجود صلاحية تصرف فرنسا فى الجزائر . وردا على قول السفير بأن الجزائر تشكل حكومة مستقلة ، أعلن رئيس الكتاب بأن الأوجاق ملك الدولة العثمانية وأن الجزائريين مواطنوها •

واثر استعمال مترجم السفارة الفرنسية تعبير (وسيط) فى حق طاهر باشا ، اثناء قراءته مدخل المذكرة بصوت مرتفع ، أحس حميد باى بوجوب التدخل ، وذكر بأن طاهر باشا أرسل الى الجزائر بمهمة (50) • وجاء فى المذكرة أحد عشر شرطا ، اذا قبلتها الدولة العثمانية فان فرنسا تعد باعادة

---

(49) نفس المصدر .

(50) B. A. ، المصدر السابق ، H. H. رقم 41 .

الجزائر اليها . فبعد أن تصرح المذكرة في المادة الاولى أن الجزائر ستسلم للسلطان بكامل السيادة المطلقة ، تبين المادة الثانية أن المنطقة الممتدة من حدود تونس حتى سلسلة الجبال المنتهية في رأس بوجاروني (Boujarouni) ، هي التي ستبقى في يد فرنسا ، أما المادة الثالثة فتنص على أن فرنسا ستتخلى عن تعويضات الحرب . وحسب المادتين الرابعة والخامسة ، فان مدينة الجزائر تصبح ميناء تجاريا ولن يملك الاوجاق سفنا حربية . وفي المادة السادسة يشترط ارسال باشا عثماني للجزائر لمدة خمسة أعوام على أن تكون تحت تصرفه عساكر نظامية فقط . وتفرض المادة الثامنة على الدولة العثمانية دفع ديون الحكومة السابقة . وتعترف المادة التي تليها بعدة امتيازات لفرنسا في الجزائر وتنص المادة الاخيرة ، على أن فرنسا لن تخرج من الجزائر قبل تحقيق الدولة العثمانية لهذه الشروط (51) .

وعندما انتهت قراءة المذكرة ، أعلم حميد باي السفير الفرنسي بأنه سيعطيه في القريب ، الجواب المناسب .

وقبل مغادرة السفير الفرنسي لحميد باي ، أخرج ورقة أخرى ورجاه أن تقرأ ؛ وفيها يذكر أن أسطولا فرنسيا سيذهب لطرابلس الغرب لأخذ ترضية من واليها المعادي لفرنسا ، وسيطلب منه التخلي عن القرصنة ، وتأمين بعض المصالح التجارية الفرنسية ، وسيقدم انذار لوالي تونس بواسطة قنصل فرنسا بها ، ويكون نفس الانذار الذي سيعطى لوالي طرابلس الغرب (52) (*).

انزعج رئيس الكتاب كثيرا من مذكرة سفير فرنسا الثانية ، وتحت تأثير ذلك ، ذكر حميد باي للسفير الذي رأى أنه من الممكن أن يكون قد تم الآن الضغط المنوي القيام به ضد والي طرابلس الغرب ، ذكر أن اجراء عمل كهذا قبل تبليغ رسمي ، شيء لم يعهد في العلاقات الدولية .

---

(51) H. H. ، B A. رقم الرزمة . 46906 . ترجمة المذكرة التي قدمها الكونت قيبومينو لرئيس الكتاب المؤرخة في 2 ـ 12 أوت 1830 .
اعطى السفير أيضا في ملاقاته خريطة توضح المنطقة التي ستحتلها فرنسا في الجزائر . لم نجد هذه الخريطة في دور الارشيف التركية .

(52) B. A. ، ملف رقم 78 . وثيقة رقم 18 ، ترجمة المذكرة التي قدمها السفير الى رئيس الكتاب والمؤرخة 2 ـ 12 أوت 1830 .
نشب الخلاف بين فرنسا وطرابلس الغرب بسبب أدعاء الاخير بأن قنصل فرنسا سرق اوراق سائح انقليزي مات في داخل افريقيا في سنة 1826 ، راجع : جان سار ، **المصدر السابق** ، ص . 88 وما يليها .

(*) راجع حول هذه المسالة التاريخية كتابنا ، **بحوث ... المصدر السابق** ، ص . 263 ـ 324 ، **المعرب** .

وفي تقرير قائمقام الصدارة الذي يوضح للسلطان مقابلة رئيس الكتاب مع السفير الفرنسي ، عرض عليه وجود إقرار الرد الذي سيقدم للسفير بعد التشاور مع وزير الحربية وأركان الدولة الآخرين • ورأى السلطان محمود الثاني ذلك مناسبا ، ولكنه أمر بالتصرف ببطء في اعطاء رد الدولة العثمانية للسفير بعد أن نمى الى الباب العالي عدة أخبار حول حدوث انقلاب في فرنسا (53) وعلى إثر ذلك أمر باستدعاء طاهر باشا اذ لم يبق له ما يقوم به بالارادة الهمايونية ، وكتب للباشا بخصوص عودته الى إستنبول (54) •

وبعد تلك المقابلة بعدة أيام ، أحضر مترجم السفارة الانقليزية لرئيس الكتاب خبرا مفاده أن السفير الانقليزي يطلب خلاصة المذكرة التي قدمها الكونت ڤييومينو للباب العالي ؛ الا أن حميد باي رد على الترجمان قائلا : « انه قد يعطى الخلاصة فقط » ظنا منه أن السيد غوردن سيخابر حكومته بشأن القضية الجزائرية • ورغم ذلك ، لم يتخل السفير عن مطلبه ، بل على العكس،أصر على ذلك ، وأرسل مترجمه عدة مرات للباب العالي لتعطى له نسخة المذكرة ، وبناء على إصرار السفير ، قبل رئيس الكتاب أن يعطي للسفير ملخصها فقط (55) •

لم يكن الهدف من تصرف رجال الدولة العثمانية بصورة سلبية مع السيد غوردن هو وضع العراقيل أمام الحكومة الانقليزية ، حيث إن الباب العالي لم يكن يجهل أن استرداد الجزائر سيكون بمساعدة انقلترا فقط ؛ ولكنه (أي الباب العالي) كان يرى من المحظور أن يصرح بما في المذكرة التي قدمها السفير ، لسفير دولة أخرى •

ولم تتأخر الحوادث في إثبات إصابة رأي السلطان بعدم التسرع في تقديم جواب للكونت ڤييومينو • ففي ذات مساء ، أخبر السفير الروسي رئيس الكتاب بواسطة مترجمه ، بهروب ملك فرنسا من بلاده ، اثر انقلاب حدث بباريس ، وبوجوب عدم فتح بحث مسألة الجزائر مع السفير الفرنسي قبل انتهاء الانقلاب (56) •

---

(53) راجع : الملحوظة رقم 50 السابقة .

(54) B. A. , H. H. رقم 69 . ان طاهر باشا الذي علمنا سابقا أنه تحرك من طولون ، جاء الى جزيرة مدلي (Midilli) وهناك انتظر تعليمات جديدة من الباب العالي . وقد عاد الى استنبول بعد تسلمه أمرا بذلك ، راجع : لطفي ، **المصدر السابق** ، ج . II ، ص . 185 .

(55) B. A. ، **المصدر السابق** ، H. H. رقم 57 .

(56) **نفس المصدر** H. H. رقم 34 .

كانت روسيا وبروسيا قد أيدتا الملكية الفرنسية المشجعة للحكم المطلق ، في قضية الجزائر ٠ وعلى الرغم مـن أن روسيا لم ترتـح لمخطط البرنس دي بوليناك بشأن احتلال والى مصر للجزائر ، الا أنها لم تر خطرا أن تحل فرنسا بقواتها في تلك الولاية البعيدة جدا عن الاناضول وروماليا (Roumalie) التي تفكر روسيا في الاستيلاء عليهما في المستقبل (57) ؛ ولكن طرد الملك شارل العاشر المستبد من فرنسا ، أجبر روسيا على التصرف بحيطة ، وبذلك ندرك السبب الذي دفع سفير روسيا بتوصية رئيس الكتاب بتأخير إعطاء الجواب للكونت ڤييومينو ٠

وفي النهاية ، عقد في الباب العـالي مجلس الشورى الـذي أمر بعقـده السلطان قبل أربعة شهور ٠ وقد ركز في هذا الاجتماع على احتمال تواطيء فرنسا مع انقلترا بشأن قضية الجزائر ٠ وقد قرر أخيرا أن يفصح رئيس الكتاب للكونت ڤييومينو ، في لقاء بينهما ، بوجهة نظر الدولة العثمانية في موضوع الاقتراحات الفرنسية،وبالاضافة الى ذلك قرر أيضا إعطاء صورة لمذكرة السفير الفرنسي للسيد غوردن الذي استمر في طلبه حتى الآن ، على أن تطرح من المذكرة مقدمتها ، ويغير ترتيب موادها (58) ٠

دعا حميد باي ، السفير الفرنسي لملاقاته في بيته ، وقد تم الاجتماع بينهما في 25 ديسمبر 1830 ٠ وكان موضوع المقابلة قد أبلغ للسفير من قبل ورغم ذلك ، فانه عندما فتح رئيس الكتاب موضوع الجزائر ، طلب السفير بحث موضوع آخر مدعيا أنه لم يحضر الاوراق اللازمة لذلك ٠ ولكنه رضى ببحث المسألة بعد إصرار رئيس الكتاب على ذلك ٠

بدأ هذا الاخير كلامه باعلام السفير أن الدولة العثمانية تطلب إعادة الجزائر التي هي ملكها ، من فرنسا ؛ وأضاف ان المعاهدات المعقودة بين الدولتين ينبغي أن تكون نافذة المفعول هناك أيضا ٠ وبالفعل ، كان مجلس الشورى قد قرر الاجابة على مذكرة السفير الفرنسي بهذا الشكل ٠ وردا على طلب رئيس الكتاب ادعى الكونت ڤييومينو ، أن لا حق للدولة العثمانية في الجزائر ٠

---

(57) جان سار ، **المصدر السابق** ، ص . 19 و 38 ، بور بيار ، **المصدر السابق** ، 127 وما بعدها .

(58) B. A. **المصدر السابق** ، H. H. رقم 69 ؛ جاء من هاته الوثيقة « أن المجلس اجتمع يوم الاثنين » ولما كانت المقابلة المتفق عليها بين رئيس الكتاب والكونت ڤييومينو في 25 ديسمبر ، فان ذلك اليوم يصادف يوم السبت ، ومن المحتمل جدا ، ان يكون مجلس الشورى قد انعقد يوم الاثنين السابق لهذا التاريخ أى 20 ديسمبر 1830 .

إن عدم اعتراف السفير الفرنسى بحقوق العثمانيين فى الجزائر ، فتح باب النقاش العنيف بين حميد باى والسفير • ومع ذلك كرر رئيس الكتاب فى النهاية وجوب إعادة الجزائر للباب العالى ، تمشيا مع البند الاول من المذكرة التى قدمها السفير الفرنسى •

إلا أنه بعد مرور مدة من الزمن وعلى إثر قول الكونت ڤييومينو فانه لم يبق للمذكرة حكم بسبب وقوع تغييرات حكومية فى فرنسا ، وصرح رئيس الكتاب بأن حقوق العثمانيين فى الجزائر لن تضيع بسبب ذلك • وعدا هذا ، فقد أشار رئيس الكتاب أن يكتب بأن فرنسا لن تأخذ تعويضات حرب ، وأوضح ذلك بحصول الفرنسيين أثناء الاحتلال على أموال كثيرة جدا • وعندما ذكر الكونت ڤييومينو بشرط دفع الدولة العثمانية خسارة التجار الفرنسيين فى الجزائر الواردة فى المذكرة ، متصنعا عدم انتباهه الى الايماء بأن حكومته قد وضعت يدها على خزينة أوجاق الجزائر ، عبر رئيس الكتاب عن دهشته لاعتبار الدولة العثمانية وريثة لديون الجزائريين لا لأموالهم (59) * !!

وأخيرا وعد السفير الفرنسى بتكليف الباب العالى بالكتابة لحكومته ولكنه لم يخف بأن هذا التكليف سترفضه حكومته • وردا على السؤال الذى سأله حميد باى ، متى يستطيع أن يعرف قرار الحكومة الفرنسية ، أجاب السفير بأنه لن يأتى قبل شهرين (60) •

ومن ناحية أخرى قدمت مذكرة الكونت ڤييومينو للسيد غوردن على الشكل الذى قرر فى اجتماع مجلس الشورى ، ومع أن الحكومة العثمانية ، بهذا التصرف ، قد عملت لكسب مساندة انقلترا لتحرير الجزائر من الاحتلال الفرنسى ، إلا أن السفير الانقليزى لم يبد ميلا للتقارب ، بل على العكس ، فقد صرح مترجم السفارة الانقليزية عند قدومه للباب العالى بعد مقابلة رئيس الكتاب والكونت ڤييومينو بأن رأيه الشخصى هو أن لا يتوقع أن تترك فرنسا الجزائر،

---

(59) وجد الفرنسيون مبلغا يقارب 50 مليون فرنك فى خزينة القصبة بالجزائر وقد نقلوا هاته الغنيمة مع الغنائم الأخرى الى فرنسا ، راجع : أسكر ، **المصدر السابق** ، ص . 364 .

(*) فى دراسة للمؤرخ مرسال أمرى ، يؤكد أن المبلغ المالى الذى استوحذ عليه الفرنسيون تجاوز 100 مليون فرنك ، **المعرب** راجع :
Une cause de l'expédition d'Alger, le trésor de la Casbah, pp. 171-188. In, *Actes de solxante-dix-neuvième Congré National des sociétés savantes, Alger*, 1954.

(60) B. A. ، **المصدر السابق** H. H. رقم 27 ، من أجل تاريخ المقابلة راجع : جان سار، **المصدر السابق** ، ص . 86 .

ورأى قائمقام الصدر الاعظم ، لفهم رأى انقلترا بشأن الجزائر ، من المناسب أن تجرى مقابلة سرية بين رئيس الكتاب والسفير غوردن ، كما أن السلطان رغب فى ذلك • وفى حالة ما اذا لم يعط السفير جوابا قطعيا ، فعلى حميد باى أن يرجو السفير ابلاغ حكومته طلب الدولة العثمانية مساعدتها على استرداد الجزائر • وقد أمر السلطان أن يتباحث رئيس الكتاب مع السيد غوردن ، ولو لم يكن متفائلا من أن انقلترا ستجبر فرنسا على الخروج من الجزائر (61) •

وجرت المقابلة بين رئيس الكتاب والسفير الانقليزى بتاريخ 29 جانفى 1831، ولما كانت المقابلة غير رسمية ، جاء السفير لمنزل حميد باى ، وفى أول المقابلة،أعلم رئيس الكتاب عن سببها،وأضاف بأن الباب العالى ينتظر الصداقة الانقليزية بشأن قضية الجزائر • وردا على ذلك ، أجاب السفير بأنه لا يستطيع الافصاح بشىء قطعى بسبب التغييرات فى الحكومة الانقليزية ، وأعلن عن أسفه من أن تأخير طاهر باشا كان السبب فى احتلال الجزائر ، عندما بعث فى مهمة اليها ؛ وعندما ذكر رئيس الكتاب أن سبب التأخير كان من الكونت ڤييومينو، بين السفير غوردن نية السفير الفرنسى السيئة بضربه مثالا آخر: هو الشرط الذى وضعه السفير الفرنسى بدفع الدولة العلية ديون الجزائر ، وهذا يفسح المجال لطلب مبلغ باهظ لا تقدر الدولة العثمانية على دفعه • كما يؤدى بالنتيجة الى بقاء الجزائر بيد فرنسا •

كلف حميد باى السفير الانقليزى ، أن يكتب لحكومته ، طلب الباب العالى لمساعدتها وللعمل على صيانة حقوق العثمانيين بالجزائر ، كما قرر من قبل • وقد قبل السفير غوردن ذلك ، ولكنه لم يخف بأن إنقلترا لن تدخل فى حرب مع فرنسا لتحرير الجزائر •

وفى نهاية المقابلة ، أوصى السفير بتقديم مذكرة الى السفير الفرنسى ، توضح فيها حقوق الدولة العثمانية بالجزائر ، أو تعد فيها بضمان سلامة التجارة الاوروبية بمنعها القرصنة بعد تسلمها لتلك البلاد ، وقد رأى حميد باى هذا الرأى مناسبا ، وقرر مع السيد غوردن كتابة مذكرة بهذا المعنى وارسالها للكونت ڤييومينو ، فى صورة ما اذا لم يأت جواب ايجابى من فرنسا (62) •

---

(61) B. A. ، **نفس المصدر** .

(62) B. A. **المصدر السابق** ، H. H. رقم 26 ، هاته الوثيقة تبين أن الاجتماع عقد يوم السبت ، وتاريخ التقرير الذى أرسله السفير الانقليزى لحكومته والمتعلق بنفس الاجتماع الذى عقد فى 29 جانفى 1831 ، راجع : جان سار ، **المصدر السابق** ، ص . 83 ، ملحوظة رقم 1 . وحسب جداول (Wüstenfeld) يتضح ان ذلك اليوم الذى عقد فيه الاجتماع يصادف يوم السبت .

كان هذا التصرف الذى تصنعه السفير الانقليزى فى الشهور الاخيرة ذا علاقة بالتغييرات التى حدثت فى السياسة العامة لاوروبا٠وبالفعل فقد وقعت معاهدة دفاعية بين النمسا وروسيا وبروسيـا ، إثر انتصار الحرية ونشوب انقـلاب جويلية فى فرنسا ٠ وأدى هذا الى تقارب الملكيات ذات النفوذ المطلق من بعضها البعض ، ضد خطر الانقلابات ٠ الا أن انقلترا بقيت وحيدة ، فاعترفت بلوي فيليب ملكا للفرنسيين وأعلنت عن صداقتها مـع فرنسا ٠ وتحسـن التعـاون الانقليزى الفرنسى أكثر فأكثر منذ استيلاء حزب الاحـرار على السلطة فـى نوفمبر 1830 (63) ٠

وبذلك تأسس توازن جديد فى علاقات الدول الاوروبية ؛ وكان على الدولة العثمانية أن تأخذ بنظر الاعتبار هذه الحقيقة في المحاولات السياسية التى تقوم بها لاسترداد الجزائر من الفرنسيين ، حيث إن انقلترا لم تعد تدنو من اغضاب فرنسا عندما تعترض بصراحة على الاحتلال الفرنسى للجزائر ٠

---

(63) بورجوا ، **المصدر السابق** ، ج . III ، ص . 10 وما يليها .

5 • ـ تأكيد الباب العالى حقه بصراحة فى الجزائر •

مع أن الكونت ڤييومينو كتب الى حكومته مخبرا اياها طلب الباب العالى بشأن قضية الجزائر ، الا أنه لم يأت رد بعد من وزارة الخارجية الفرنسية على ذلك • وانتظرت الدولة العثمانية أربعة شهور ، وأخيرا رأت من الواجب تحقيق توصية السفير الانقليزى،ونتيجة لذلك أعطت للكونت ڤييومينو مذكرة بتاريخذى الحجة 1246 الموافق 13 ماى 1831، تبين حقوق الدولة العثمانية فى الجزائر،إذ « بموجب المواثيق والاحكام المرعية بين الدولة العلية والدول الصديقة منذ القديم ، فان حقوق الدولة السنية بالجزائر ثابتة فى جميع الازمان » • وكان يطلب استرداد الجزائر « اذ لا اشكال فى أنها ملك موروث للدولة العلية » •

كان الباب العالى يصرح باصرار فى المذكرة ، بمنع القرصنة فى الجزائر ، وتقديم التسهيلات لتجارة أوروبا • وفى نهاية المذكرة ، كان يكرر طلب استرداد الجزائر قائلا : « لما كان استرجاع البلاد المذكورة بكامل حكومتها واستقلالها لجانب الدولة العلية ، طلبا عاليا ، فان الشرط المذكور فى المذكرة التى قدمها السفير المؤمأ اليه كاف فى نفس الامر لتحقيق ذلك (64) ، ولا حاجة قطعا لسائر القيود والشروط المختلفة ، باستثناء المواد المتعلقة بشأن القرصنة والناشئة من تكفلها لتلك الشروط ، فى معاهدات الصفاء المعقودة بين الدول » (65) •

بقيت هاته المذكرة أيضا بلا رد ؛ ولكن الدولة العلية استطاعت أن تجبر الحكومة الفرنسية على قبول رسالة تشير الى حقوقها بالجزائر ، الا أن ذلك لم يؤد الى أية نتيجة •

وبعد هاته الازمة ، ركز الباب العالى اهتمامه كله لعصيان والى مصر لمدة سنتين ، حيث أرسل محمد على باشا جيشا بقيادة ابنه ابراهيم الى سوريا فى

---

(64) ان وعد تسليم الجزائر بكامل سلطنها للسلطان قد ورد فى البند الاول من المذكرة التى سلمها الكونت فييومينو للباب العالى . راجع ملحوظة رقم 51 .

(65) B. A. ، المرجع السابق ، اوراق رقم . 21 .

أوائل نوفمبر 1831 بحجة الخلاف الذى وقع بينه وبين والى عكا (66) . وبعد أن رفض محمد على باشا أمر تخليه عن الاستيلاء على سوريا والانسحاب الى مصر ، عد ، بفتوى من شيخ الاسلام ، عاصيا . وأدى ذلك الى اندلاع معارك حربية بين السلطان ووالى مصر (67) .

ومع ذلك ، فان الباب العالى فى ذلك العهد العصيب ، لم يتوان فى الاعلان رسميا باعادة الجزائر للدولة العثمانية . وكان من العادة أن تجرى فى اليوم الاول من عيد الفطر فى كل سنة ، توجيهات الوظائف العالية والتوليات ، وفى عيد 1247 / 1832 ، كتبت الجزائر فى دفتر التوجيهات . ولكن اسم الوالى بقى شاغرا . أما فى نسخة 4 شوال 1247/7مارس 1832 من جريدة «تقويم وقايع» الرسمية ، لم يتقاعس الباب العالى عن طبع دفتر التوجيهات على شكل جدول ، بل ونشر خط همايون ، الموجود فى رأس الجدول نفسه ، وجاء فيه : « لما كانت ولاية الجزائر موعودا بردهـا لطرف الدولة العليـة عندما طلبناها ، فسينظـر بمقتضاه عند التنظيم » . (68) .

وبعد نشر « تقويم وقايع » بثلاثة أيام ، أرســل القائم بالاعمــال الفرنســى دوفاران (De Varenne) ، مترجم السفارة ، للبــاب العالى ، مخبرا بــأن حكومته لم تعد باعادة الجزائر الى الدولة العثمانية (69) . وفى التعليمات التى كتبها القائم بالاعمال لمترجم السفارة ، والتى أعطيت نسخة منها الى الباب العالى، كان يبحث عن المقابلة التى أجراها الكونت ڤييومينو فى 25 ديسمبر 1830 مـع رئيس الكتاب حميد باى ، ولكنه كان يبدو أن القائم بالاعمال لم يكن على علم بالمقابلات التى سبقت ذلك (70) .

---

(66) كان سبب بداية الخلاف بين والى مصر ووالى عكا هو عدم اعادة عبد الله باشا والى عكا ستة آلاف جندى مصرى هربوا لسوريا من ظلم محمد على باشا ، راجع : التنداغ ، **المصدر السابق** ، ص . 36 وما يليها .

(67) **نفس المصدر** ، ص . 57 وما يليها .

(68) **تقويم وقايع** رقم 17 .

(69) استدعى الكونت ڤييومينو من قبل وزارة الخارجية الفرنسية ، وغادر استنبول فى نوفمبر 1831 ، راجع : بورييار ، **المصدر السابق** ، ص . 152 .

(70) H. A. ، **المصدر السابق** ، التعليمات التى أعطاها دو فاران لمترجمه مؤرخة فى 10 مارس 1832 .

1 • ـ المساعـى التى بذلتها الدولـة العثمـانيـة فـى أوروبـا لاستـرداد الجزائـر

على اثر انكسار الصدر الاعظم رشيد محمد باشا فى معركة قونية أمام جيش ابراهيم باشا ، وبعد أن عاد السلام بين السلطان ووالي مصر بموجب معاهدة كوتاهية الموقعة فى 14 ماي 1833 ، وبعـد عقد معاهـدة هونكار اسكلاسـي (Hunkâr Iskelesi) فى 8 جويلية 1833 مع روسيا مقابل المساعدة التى قدمتها ، بارسالها أسطولا الى استنبول ، استتب الامن للدولة العلية ، وأصبح الباب العالى قادرا على الاهتمام بالقضية من جديد (1) •

وفى ربيع 1834 جاءت عريضة من مدينة باديز (Penon de Velez) الواقعة فى الغرب من الجزائـر ، الى وزير البحريـة ، جعلت رجال الدولـة العثمانية يشتغلون • وكانت هاته العريضة قد كتبت من قبل حمدان أفندى بن عثمان خوجة (2) * باسم إبراهيم باى بن مصطفى باشا (3) ** • وقد أرسل وزير

---

(1) التنداع ، **المصدر السابق**،ص.65 وما يليها ، توكين ، **المصدر السابق** . ص . 136 وما يليها

(2) حمدان افندى أصله من بودر (Budur) بتركيا ، رحل الى الجزائر وترقى حتى رتبة دفتر دار وهو ابن أحد العلماء الاشراف . بعد احتلال الجزائر رحل الى باريس ومنها الى استنبول حيث شغل مصححا في جريدة « تقويم وقايع » وهو والد على رضا باشا والى طرابلس الغرب وبورصة (Bursa) عن كتاب على رضا باشا ، **مرآة الجزائر** ترجمة على شوقى ، أستنبول ، 1293 / 1876 ، ص . 108 ، راجع : لطفى ، **المصدر السابق** . ج 5. ص . 82 .

(*) أعددنا دراسة حول حمدان بن عثمان خوجة ، تستند الى رسائله المخطوطة التى عثرنا عليها فى عدد من دور الارشيف . وتتناول أعماله فى الجزائر وباريس واستنبول ، كما أننا قدمنا دراسة فى مؤتمر الدراسات التاريخية لشمال افريقيا فى كاليرى (Cagliari) بايطاليا ، بعنوان : *Réflexions sur les relations d'Abdelkader avec l'Angleterre et la Sublime Porte en 1840-41*.

(آنطباعات حول علاقات الامير عبد القادر بانقلترا والباب العالى فى سنة (1840 ـ 1841) حيث تناولنا فيها تأثير حمدان فى السياسة العثمانية تجاه احتلال الجزائر .

لقد أصحبنا هاته الدراسة برسالة مطولة من الامير عبد القادر الى الباب العالى وقد نشرت فى كتابنا ، **بحوث ووثائق ... نفس المصدر** ، تونس ، 1972 ، **المعرب** .

(3) يحتمل ان يكون والد ابراهيم باى هو مصطفى باشا الذى شغل ولاية الجزائر من سنة 1798 حتى 1805 .

(**) ابراهيم باى هو بالفعل ابن مصطفى باشا الوالى . **المعرب** .

البحرية تلك العريضة * الى الباب العالى ، وفيها يشرح الجزائريون ما يلقونه من ظلم الفرنسيين ويسترحمون السلطان بتقديم المساعدة (4) ٠

وقد تبوحث في أمر عريضة حمدان أفندى فى مجلس الشورى المنعقد فى الباب العالى ، وتقرر اثرها ايفاد مصطفى رشيد باي (5) كسفير فوق العادة الى باريس ، تلبية لرغبة السلطان وذلك لاسترداد الجزائر من الفرنسيين ٠ وقد صادق السلطان على هذا القرار ؛ ولكنه كان يصرح بوجـوب معرفة رأى دول أوروبا الكبرى سلفا بشأن الاعـلان بصراحة عن مهمة رشيد باي (6) ٠ أعلن رئيس الكتاب عاكف أفندي (7) أنه سيرسل بناء على رغبة السلطان رشيد باي الى باريس كسفير للمذاكرة بشأن اعادة الجزائر للدولة العثمانية ، وأعلم بذلك سفيرى فرنسا وانقلترا والقائم بالاعمال الروسي ٠ ووافق هؤلاء على ارسال الدولة العثمانية سفيرا لها بباريس ٠ ولكن سفير فرنسـا الاميرال روسين (Roussin) (8) أخبر رئيس الكتاب أنه لا يرى من الصواب الافصاح عن ذهاب رشيد باي للمذاكرة بشأن القضيـة الجزائريـة ٠ ولـذا فقد رئـى من المناسب ــ بالنسبة للباب العالى ــ ارسال رشيد باي الى فرنسا مع بقاء مهمته الاصلية الآن ، سرية (9) ٠

وفي عدد جريدة « تقويم وقايع » المؤرخة فى 25 صفر 1256/3 جويلية 1834 ، أعلن عن تعيين مصطفى رشيد باشا مأمورا فى باريس بوظيفة « تأكيد الموالاة

(*) لقـد ترجمنـا هاتـه الوثيقـة التـى كتبت باللغة التركيـة ونشـرت فـى كتابنا ، **بحـوث ووثائق ... نفس المصدر** ، ص . 168 ــ 173 ، تونس ، 1972 **المعرب** .

(4) B. A. ، ملف رقم 78 H. H. رقم 62 . رسالة حمدان هاته مؤرخة فى 29 ربيع الاول 1249 / 16 أوت 1833 .

(5) ولد مصطفى رشيد باى (الباشا فيما بعد) فى استنبول سنة 1800 ، وبعد ان عين معتمدا للهمايون سنة 1832 اشترك فى محادثات معاهدة كوتاهية وشغل فى سفارتى باريس ولندن وفي وزارة الخارجية كما شغل منصب الصدر الاعظم ، ستة مرات ، ثم توفى فى استنبول سنة 1859 . ان هذا الباشا الذى فتح عهدا جديدا فى تاريخ تركيا بقراءته أمر التنظيمات سنة 1839 ، يعد من عظام رجال الدولة العثمانية ، راجع :
BAYSUN, Cavid, *Mustafa Rešid Pâšâ ve Tanzimat*
استنبول . 1940 ، ج . 1 ، ص . 723 وما يليها .

(6) B. A. , H. H. رقم 22513 .

(7) كان عاكف افندى (الباشا فى بعد) رئيس الكتاب سنة 1832 ، وفى أوائل سنة 1836 اصبح وزيرا للخارجية ، ثم عزل بعدها بشهور ، وفى السنة التالية عين وزيرا للداخلية ثم واليا لعدة مناطق . ومات سنة 1847 . راجع : محمد ثريا ، **المصدر السابق** ، ج . III ص.247.

(8) عين الاميرال روسين سفيرا بأستنبول فى أوائل سنة 1833 ، راجع : بورجوا ، **المصـــدر السابق** ، ج . III ، ص . 101 .

(9) B. A. ، ملف رقم 78 ، H. H. رقم الرزمة 70 .

والمودة » . وفي أواخر 1834 ، غادر استنبول (10) ، مصطحبا انوري أفندي ، أحد أساتذة ديوان همايون ، ككاتب للسر ، وكذلك روح الدين أفندي أحد معلمي مدرسة الهندسة البحرية سابقا ، كمترجم (11) . وأعطيت لرشيد باي رسالة همايونية ليقدمها لملك فرنسا ، وتعليمات سرية بخصوص مهمته ، في قضية الجزائر (12) .

وفي الايام التي كان رشيد باي في طريقه الى باريس ، كان قد تم تعيين نامق باشا (13) أحد ضباط العسكر الخاص ، سفيرا بلندن ؛ وقد غادر هذا الاخير أيضا استنبول محملا من الباب العالي ، بتعليمات كتابية تتضمن الامر بالقيام بمحاولات لدى الحكومة الانقليزية ، على أن يظل على اتصال مع رشيد باي ، بشأن القضية الجزائرية (14) .

لم يكن ارسال نامق باشا الى لندن لاول مرة ، اذ كان الباشا قد ذهب الى لندن وعاد كسفير بعد سنة ونصف ، لغاية تأمين مساعدة الدولة الانقليزية ضد والي مصر محمد علي باشا ، بل ، وفي ذلك الزمان ، بعد أن فهم أن الدولة الانقليزية لن تساعد الدولة العثمانية بشأن قضية مصر ، وبموجب التعليمات المعطاة له ، طلب نامق باشا دعم انقلترا للحكومة العثمانية بشأن تخليص الجزائر من الاحتلال الفرنسي (15) في المقابلات التي أجراها مع وزير الخارجية

---

(10) تقويم وقايع ، رقم 85 .

(11) نوري أفندي هو ابن أخت رشيد باي ، راجع : محمد ثريا ، **المصدر نفسه** ، ج . 6 ص . 591 . اما روح الدين فهو والد الصدر الاعظم أحمد رفيق باشا ، راجع : محمد ثريا ، **نفس المصدر** ، ج . 11 ، ص . 420 . كان بمعية رشيد باي أيضا الطبيب ما سوقي (Masuki) ولكن بسبب بعض تصرفاته الغير اللائقة ، أعيد من بلغراد . راجع : B. A. , H. H رقم 370106 (الرقم 7 غير واضح) تحريرات رشيد مؤرخة في 8 ربيع الآخر 1250 / 15 أوت 1834 .

(12) لاجل الاطلاع على متن الرخصة ، راجع : B. A. ، **نامة همايون دفترى** ، رقم 11 ، ص . 148 .

(13) بعد أن عين عدة مرات سفيرا في لندن ، نصب كفريق في طرابلس الغرب سنة 1836 ، ثم عين ، بعد أن ترقى لرتبة مشير سنة 1843 ، في الولايات والاركان والوزارات ، وتوفي سنة 1897 عن 88 سنة ، راجع : Mehmed Namik Pašanin hal Tercumesi نشره أنور ضيا كرال ، في مجلة : Tarih Vesikalari استنبول . 1942 ، ج . 11 ، ص . 220 وما يليها .

(14) **تقويم وقايع** ، بتاريخ 29 ربيع الاول 1250 / 15 اوت 1831، رقم 87 للاطلاع على التعليمات المعطاة لرشيد باي المؤرخة في 2 ربيع الآخر 1250 / 19 أوت 1834 ، راجع : B. A. , H. H. رقم 46623 .

(15) من أجل سفارة نامق باشا في لندن . راجع : ألتنداغ ، **المصدر السابق** . ص . 82 وما يليها وتوكين ، **المصدر السابق** ، ص . 138 وما يليها . ان مسودة التعليمات المعطاة لنامق باشا

اللورد بلمرستون (Palmerston) ومع رئيس الوزراء اللورد غراي (Grey) ، وعدا هذا ، كان قد قدم للحكومة الانقليزية مذكرة باللغة الفرنسية مؤرخة فى فى 2 مارس 1833 بشأن القضية الجزائرية • وردا على طلب نامـق باشا ، فان رجال دولة الانقليز أجابوا بأنهم لن يستطيعوا قول أي شيء للحكومة الفرنسية بخصوص الجزائر دون تصفية قضايا بلجيكا والبرتغال ؛ وهكذا رفضوا من الاول تكليف الدولة العثمانية (16) •

أما رشيد باي فبعد أن عرج على فينا (Vienne) وتباحث مع الامير فون ميترنيخ (Von Metternich) • وصـل باريس فى أواسط سبتمبر 1834 • ومرت الايام الاولى للسفير العثمانى فى باريس بالزيـارات الرسمية ، وأخيرا تلاقى رشيد باي مع الاميرال دي رينيي (De Rigny) وزير الخارجية وقدم له رسالـة السلطان الى الملك لـوي فيليب (Louis Philippe) • وفي تلك الاثناء كان قد وصل نامق باشا الى باريس وهو فى طريقه الى لندن وقام كلاهما بزيارة الكونت ڤييومينو سفير فرنسا السابق باستنبول فى داره •

بدأ رشيد باى العمل بشأن القضية الجزائرية التيهيوظيفته الاساسية وقد زار السفير الروسى بزو دي بورڤو (Bozzo De Borgo) ، اذ أن روسيا كانت صديقة للدولة العثمانية بعد عقد معاهدة هونكار إسكلاسى ، الا أن رشيد باى لم يجده فى دار السفارة ، وعليه فقد قام السفير الروسى بعدها بأيام بزيارة رشيد باي •

محفوظة فى أرشيف رئاسة الوزراء : .H.H رقم 39759 . وبندها العاشر ، وهو الاخير متعلق بقضية الجزائر . ولاجل النسخة الفرنسية المترجمة عن المذكرة التى قدمها لوزير الخارجية الانقليزية ، راجع : .H. H , B A رقم .48980 B . وقد نشرت هاته الوثيقة من قبل الدكتور شناس التنداغ :
ALTUNDAG, *Mehmed Ali isyaninda yardim talebine bulunmak* üzere 1832 *tarihinde Namik Pašanin hususî elçi olarak londraya gönderilmesi*
(ارسال نامق باشا الى لندن كسفير خاص سنة 1832 بطلب المساعدة ضد عصيان محمد على) المنشورة فى Tarih Vesikaleri (الوثائق التاريخية) استنبول . 1943 ، ج . II ، ص . 448 وما يليها رقم الوثيقة 3 .

(16) .H. H. , B A رقم .48980 D ، راجع : التنداغ ، **المصدر السابق** ، ج . III ، ص . 131 وما يليها ، رقم الوثيقة 9 .
قضية البرتغال سببها تصارع أخوين على عرش البرتغال ، أحدهما محافظ والآخر حر ، وهما دون بدرو (Don Pedro) ودون ميكـال (Don Miguel) راجـع : بورجوا ، **المصدر السابق** ، ج . III ، ص . 115 .
اما القضية البلجيكية فقد برزت من التفاف هذه البلاد على السلاح بقصد الانفصال مـن مملكة هولندا ، راجع : **نفس المصدر** ، ج . III ، ص . II ، وكانت انقلترا تعمل على تأمين التعاون مع فرنسا فى هاتين القضيتين .

وعندما تلاقيا ، سأل رشيد باي زميلـه الديبلومـاسي ، كيف ومتى يجب عليه مفاتحة الحكومة الفرنسية بوظيفته المتعلقة بالقضية الجزائرية ؟ وقد رد عليه السفير ناصحا اياه بالانتظار مدة خمسة عشر يوما أو عشرين ، ولتأمين مساعدة انقلترا ، رأى السفير الروسي أنه من المفيد ابلاغ نامق باشا بالمباحثات الجارية في باريس ، وبصورة مستمرة ؛ ووجد رشيد باي ونامق باشا ملاحظات السفير الروسي مصيبة ، وقررا فيما بينهما العمل بهذا الرأى (17) .

ومن ناحية أخرى ، أسس رشيد باي علاقـات مع حمدان أفندى القادم من الجزائر الى باريس ، ومع حسونة الدغيس (18) * الطرابلسي . وكان مقصد السفير العثماني من ذلك ، الاستفادة من معلومات هؤلاء أثناء محادثات المسألة الجزائرية (19) . وبعد أن مر عشرون يوما على ملاقاة رشيد بالسفير الروسي ، تقابلا من جديد ، وسأله رشيد بـاي عن التصرف الملائم بشـأن الطلب الذى سيقدمه الى الحكومة الفرنسية لاعادة الجزائر للدولة العثمانية . الا أن السفير الروسي كان يرى من اللازم عدم إثارة القضية الجزائرية قبل ادراك ماهيـة الاخبار القائلة بأن والى مصر سيقوم باستعدادات عسكرية ، وعليه لا بد من الانتظار مدة خمسة عشر يوما على الاقل (20) .

---

(17) B. A. , H. H. رقم لـ 46899 ، وهو تحرير رشيد باى المؤرخ فى 29 جمادى الاولى 1250 / 3 اكتوبر 1834 ، وقد نشرت هاته الوثيقة من قبل الاستاذ :
BAYSUN, Cavid, *Mustafa Rešid Pašanin Paris ve Londra sefaretleri esnasindaki siyasi yazilari*
(الرسائل السياسية التى كتبها مصطفى رشيد باشا اثناء توليه سفارة باريس ولندن) المنشورة فى : Tarih Vesikalari استنبول 1941 . ج . 1 ، ص . 38 وما يليها ، رقم الوثيقة 2 .

(18) حسونة الدغيس هو سهر يوسف باشا القرمانلى والى طرابلس الغرب ، جاء الى استنبول فى سنة 1836 ، وعين محررا للنسخة الفرنسية لجريدة « تقويم وقايع » راجع : لطفى ، **المصدر السابق** ، ج . 5 ص . 46 .

(*) لقد عثرنا على وثائق حول هاته الشخصية التى لعبت دورا متكاملا مع حمدان افندى سواء أكان ذلك بباريس ولندن أو استنبول فيما يخص القضبة الجزائرية ، راجع كتابنا : « **بحـوث ووثائق في التاريخ المغربي** ، ص . 263 ـ 324 ، **المعـرب** .

(19) B. A. ، ملف رقم 78 ، الرسالة رقم 21 وهو تحرير مصطفى رشيد باشا المؤرخ فى 29 جمادى الاولى سنة 1250 ، راجع : بيسون ، **المصدر نفسه** ، ج . 1 ، ص . 145 وما يليها ، وثيقة رقم 3 .

(20) B. A. **نفس المصدر** H. H. رقم B. 46899 ، رسالة رقم 21 ، والتى كتبها رشيد بتاريخ 15 جمادى الاخر 1250 / 20 أكتوبر 1834 ، راجع : بيسون ، **نفس المصدر** ، ج . 11 ، ص . 44 وما يليها ، وثيقة رقم 17 . كان استعداد محمد على باشا للحرب بسبب استعداد رشيد باشا والى سيواس والصدر الاعظم السابق للهجوم على سوريا ، راجع . يورقا ، **المصدر السابق** ، ج . 5 . ص . 380 وما يليها

لم يتوان رشيد بـاي فى كتابة هـذا الرأي الى نامق باشا الذى ابتدأ عمله بالسفارة فى لندن ، وقد رجاه مصطفى رشيد باي أن يطلعه على أفكـار رجال الدولة الانقليز ، بشأن القضية الجزائرية (21) .

وعليه طلب نامق باشا في ملاقاة أجراها مع اللورد بلمرستون (Palmeston)، وزير خارجية انقلترا فى أواسط شهر نوفمبر 1834 ، مساعدة انقلترا للدولة العثمانية من اجل استرداد الجزائر من فرنسا ، ولكن الوزير كـان قد أفصح بأنه لن يستطيع أن يقول شيئا لفرنسا بشأن تلك القضية (22) .

وبعد أيام من ذلـك قوي الامـل فى أن تتصرف بريطانيـا لصالح الدولـة العثمانية بشأن قضية الجزائر ، إثر سقوط الحكومة الانقليزية ومجيء المحافظ اللورد ولنقتون (Wellington) الى السلطة . وعليه فقد تقابل نامـق باشا دون اضاعة الفرصة مع اللورد ولنقتون ، وكرر له ما قاله لوزير الخارجية السابق بشأن الجزائر ، الا أن اللورد رد عليه بأنـه لا يستطيع أن يقرر مـا اذا كـان سيتدخل لدى فرنسا أم لا بشأن اعادة الجزائر للدولة العثمانية ، قبل تشكيل حكومته الجديدة ، تشكيلا تاما (23) .

كان نامق باشا يكتب عن ملاقاته التى يجريها دائما فى لندن ، الى السفير التركى بباريس . وكان لا يأمل أن يظل المحافظـون ثلاثة أو أربعة أشهر على رأس الحكومة ، ولهذا كان رشيد باى يرى من اللازم الافصاح فورا لوزير الخارجية الفرنسية عن مهمته بشأن الجزائـر (24) .

وعليه قرر رشيد باي فى ملاقاة سيجريها مع الاميرال دي رينيي أن يطلب اعادة الجزائر للدولة العثمانية ، وأن يقدم له مذكرة حررت من قبل . وعندما

---

(21) B. A. **نفس المصدر** ، ارادة رقم 14 . وهو تحرير رشيد باى بتاريخ 7 رجب 1250 / 10 نوفمبر 1834 ، راجع أيضا : بيسون ، **نفس المصدر** ، ج . 1 ، ص . 48 او ما يليها ، رقم الوثيقة 4 .

(22) B. A. **نفس المصدر** ، ادارة رقم 14 وهو تحرير نامق باشا بتاريخ 14 رجب 1250 / 17 نوفمبر 1834 .

(23) H. H. , B. A. رقم B. 46430 ، تحرير نامق باشا بتاريخ 23 ـ 27 رجب 1250 / 26 ـ 30 نوفمبر 1834 .

(24) B. A. ملف رقم 78 ، ادارة رقم 34 ، تحرير نامق بتاريخ 3 شعبان 1250 / 6 ديسمبر 1834 .

كان رشيد باي يتخذ هذا القرار ، لم يهمل السؤال عن آراء سفيري روسيا والنمسا (25) ٠

وفي 18 ديسمبر 1834 ، تقابل السفير العثمانى مع وزير الخارجية الفرنسى، وعلى اثر فتح رشيد باى موضوع الجزائر ، فى مطلع مقابلتهما ، لم يرغب الاميرال دى رينيى فى إثارة هذا الموضوع ، ولكنه رضى بذلك بعد اصرار لطيف من السفير ٠ أعلم رشيد باي ، بأنه مكلف بالتباحث لتأمين اعادة الجزائر للدولة العثمانية ، كما بين للوزير بأنه سيقدم مذكرة بهذا الخصوص للحكومة الفرنسية ٠ وعندما سأل الوزير عن تاريخ وصول تلك التعليمات اليه بشأن الجزائر ، رد السفير بأنه « مع أن أصل مهمته هى تقوية الصداقة بين الدولتين ، الا أن لديه الصلاحية لحل الخلاف الناشىء عن القضية الجزائرية » ، وفى ختام المقابلة أعلم وزير الخارجية أن فرنسا لن تتخلى عن الجزائر ، ومع هذا فانه (أى الوزير) سيعلم الوزراء الآخرين بافادة رشيد باى ، وأضاف بأنه سيعطى الجواب القطعى فى مقابلة ستجرى فيما بعد (26) ٠ وقد سر رشيد باى قليلا من تلك المقابلة ، وكان يأمل الوصول الى اجبار الاميرال دي رينيي على قبول المذكرة التى حررت من قبل بشأن قضية الجزائر ، وكان يأمل أنه سيوفق الى تسليمها فى المقابلة الثانية (27) ٠

كتب السفير العثمانى فى باريس عن مقابلته التى أجراها مع وزير الخارجية الفرنسى ، الى نامق باشا ، شرح هذا الاخير للورد ولقتون المقابلة

---

(25) B. A. ، نفس المصدر إرادة رقم 34 ، تحرير رشيد باى بتاريخ 13 شعبان 1250 / 16 ديسمبر 1894 ، راجع : بيسون ، **المصدر السابق** ، ج . II ، ص . 44 وما يليها ، رقم الوثيقة 17 .

(26) B A. ، **نفس المصدر** ، رسالة رقم 37 : وهى حلول تحارير رشيد باى المكتوبة بالارقام السرية ، راجع : بيسون ، **المصدر السابق** . ج . II . ص . 48 وما يليها . رقم الوثيقة 17 . راجع أيضا : BAYSUN, David *Cezayir Meselesi ve Rašid Paša-nin elçiliği* (سفارة مصطفى رشيد والمسالة الجزائرية) المنشورة فى : Turk Tarih Kongresi Ankara, 15-20 Kasim 1943, Kongreye sunulan tebligler (المؤتمر التركى التاريخى الثالث المنعقد ما بين 15 و 20 نوفمبر 1943 بأنقره ، راجع : الدارسات التى قدمت للمؤتمر ، انقره ، 1948 ص . 378 وما يليها .

(27) B. A. ، **نفس المصدر** : لمتن المذكرة ، راجع : بيسون ، **مصطفى رشيد باشا .. المصدر السابق** ، ج . II ، ص . 53 وما يليها . رقم الوثيقة 19 . ذهبت آمال رشيد باى سدى ، اذ كانت الحكومة الفرنسية قد ارسلت فى سنة 1833 لجنة الى الجزائر للقيام بدراسات حول وضعية الجزائر . وعندما اقامت اللجنة ثلاثة شهور بالجزائر قررت الحكومة بعد رجوعها ، المحافظة على الجزائر ، راجع : ESQUER, G, *Histoire de l'Algérie* باريس . 1950 ، ص . 12 وما يليها .

التى تمت فى باريس ، وكرر رجاءه في مساعدة انفلترا ، ومع أن اللورد ولنقتون كـان يعترف بحقوق الدولة العثمانية فى الجزائـر ، الا أنـه كان لا يخفى أن استردادها من فرنسا أمر عسير ، وأنهى اللورد كلامـه ، طالبـا صورة عن الانذار الذى كان قد قدمه الكونت فييومينو الى الباب العالى (28) ٠ وقد وجد نامق باشا في متن المذكرة التى أرسلها له رشيد باي، ما يمنع من نشرها، ولهذا لم يقدم صورة منها الى وزير الخارجية الانفليزى (29) ٠

وبعد أن قابل رشيد باي الاميرال دى رينيي، تقابل مع الكونت فييومينو ، حيث أوصى سفير فرنسـا السابق فى استنبول بعدم الاشـارة الى القضية الجزائرية وبحثها فى الوقت الحاضر ، وحينما عجز الكونت فييو مينو عن تغيير فكرة رشيد باي ، وعد بأن يأتى الى دار السفارة للتدقيق معا فى الانذار الذى قدمه هو قبل أربع سنوات (30) . ولكن الكونت لم يظهر مرة ثانية بحجة كثرة مشاغله (31) ٠

لقد مرت أسابيع على مقابلة السفير لوزير الخارجية ولكنه لم يصدر شيء من وزارة الخارجية ، ووقتها أرسل رشيد باى عدة مرات لوزير الخارجية راجيا منه تعيين يوم للمقابلة المتفق عليها ، الا أن وزير الخارجيـة كان فى كـل مرة يسوفه فى ذلك (32) ٠

ولما زار سفير فرنسا الاميرال روسين رئيس الكتاب صرح له اثناء حديثهما بعدم امكانية اعادة الجزائر للدولة العثمانية ٠ الا أن رئيس الكتاب أعلن من جهته ، بأنه يأمل أن يأخذ رشيد باى جوابا ايجابيا (33) بشأن القضية الجزائرية فى المقابلة الثانية التى سيجريها مع وزير الخارجية الفرنسى ٠ وتمكن أخيرا

---

(28) H.H. , B.A. رقم A. 37531 تحرير نامق باشا المؤرخ فى 25 شعبان 1250 / 28 ديسمبـر 1834 .

(29) **نفس المصدر** H. H. رقم L. 46430 تحرير نامق باشا المؤرخ فى 13 شوال 1250 / 12 فيفرى 1835 .

(30) **نفس المصدر** H. H. رقم D. 46899 تحرير رشيد باشا باى المؤرخ فى 26 شعبان 1250 / 29 ديسمبر 1834 . راجع : بيسون ، **المصدر السابق** ، ج . 11 ، ص .208 ومـا يليها رقم الوثيقة 21 .

(31) **نفس المصدر** H. H. رقم ، J. 46904 تحرير رشيد باى المؤرخ فى 24 رمضان 1250/ 25 جانفى 1835 .

(32) **نفس المصدر** H. H. رقم A. 32987 تحـرير رشيد بـاى المؤرخ فـى 17 رمضـان 1250 / 18 جانفى 1835 .

(33) H. H. , B. A. رقم A. 37711 تقرير عن مقابلة رئيس الكتاب مع سفير فرنسا .

رشيد باى من الاجتماع بوزير الخارجيـة فى 27 جانفى 1835 • ولكـن السفير العثمانى لم يحصل على النتيجة التى كان يتوقعهـا من هذا الاجتماع ، وأعلمه الوزير بوجوب تأخير المحادثات بشأن الجزائر (34) •

كان رشيد باي يعلم أن فرنسا لن تعيد الجزائر بسهولة ، فعاد بعد شهرين الى استنبول ، تاركا روح الدين أفندى كقائم بالاعمال فى باريس بعد أن سلمه تعليمات تتألف من سبعة بنود (35) يتعلق البند الثالث منها بالقضية الجزائرية وقد أمره رشيد باى أن يصـرح بهـا بصفـة رسميـة ، ما لـم تصـدر ارادة جديدة بشأن ذلك من السلطان ، عـلى أنه إذا جـرت مناقشات فـى مجلس النواب الفرنسى بهذا الشأن ، فعليه مراجعة السفير فى لندن والتصرف حسب الطريقة التى يراها هذا الاخير •

الا أنه فى هذه الاثناء تغير سفير الدولة العثمانية بلندن ، حيث عين محمد نورى افندى (36) بدل نامق باشا • وقد وصـل السفير الجديـد فى أواخـر مارس 1835 (37) •

واهتم نورى أفندي بالقضية الجزائرية فى الشهر الاول من وصوله ، وحينما ذهب لزيارة السفير الروسى بزو دي بورقو (38) فى 1 مارس 1835 ، قرأ فى الصحف نبـأ ثورة الامير عبد القـادر الجزائـرى (39) فى المنطقة الغربية من

---

(34) **نفس المصدر** .H. H رقم .E 33000 ؛ لم نعثر مع الاسف رغم كل جهودنا على التحرير الشارح للمقابلة التى جرت بين السفير العثمانى ووزير الخارجيـة الفرنسية فى الارشيـف التركـى .

(35) **نفس المصدر** .H H رقم .A 37461 ، المذكرة التى اعطاها رشيد باى الى روح الدين على شكل تعليمات . راجع : بيسون ، **المصدر السابق** ، ج . 11 ، ص . 453 وما يليها ، رقم الوثيقة 26 .

أغرب نقطة فى هاته التعليمات هو الافصاح علنا بحل القضية الجزائرية فى لندن ، لا فـى باريس .

(36) اشتغل فى لندن حتى أواسط سنة 1836 ، ونقل اثرها الى السفارة العثمانية بباريس ، ثم عين كمستشار لوزارة الخارجية فى جوان 1837 ، ثم ثانية فى السفارة بباريس ، وتوفى فى سنة 1843 . راجع : محمد ثريا ، **المرجع المصدر** ، ج . 4 ص . 591 وما يليها .

(37) .B. A ، .H. H رقم .A 46899 تحرير رشيد باى المؤرخ فى 28 ذى القعدة 1250 / 29 مارس 1835 .

(38) كان قد نقل من سفارة باريس الى لندن .

(39) الامير عبد القادر : هو ابن شيخ اسمه شريف محيى الدين ، كان قد ثار قبل ذلك أيضا ، ولكنه عقد معاهدة مع فرنسا فى اوائل سنة 1834 . وفى ثورته هاته انتصر على الفرنسيين فى جويلية 1835 . وقد وقع معاهدة صلح فى سنة 1837 (معاهدة تفنا) . وبعدها ثار من

الجزائر ، فاستغل الفرصة وبحث معه هـذه الثورة ، كما سأل نـوري أفندي السفير الروسي عن الطريـق الواجب اتباعهـا لانقـاذ الجزائر من الاحتـلال الفرنسي ؛ وعندها أجاب السفير بأنه « يكون من المفيد اقناع وزير الخارجية الانقليزي بتقديم مذكرة الى الحكومـة الفرنسيـة بشأن اعادة الجزائـر للدولة العثمانية » (40) ٠ وعليه ففي الملاقاة التي أجراها نـوري أفندي بعد أسبوع واحد مع اللورد بلمرستون ، الذي عاد ثانية الى الحكم ، أعلم نوري اللورد بأن الدولة العثمانية تنتظر تدخل انقلترا في القضية الجزائرية بصورة ودادية ، الا أن الوزير أوصى بالتريث والاعتدال (41) ٠

جديد حيث أتعب فرنسا حتى سنة 1847 ، حيث حبس لمدة خمس سنوات وحل بالاراضي العثمانية ، وتوفي في الشام سنة 1883 .

كانت القبائل المحلية (كذا) قد أعلنته سلطانا في سنة 1832 ، واعتمد في صراعه مع الفرنسيين على حكام مراكش ، راجع : YVER, Abdelkader في دائرة المعارف الاسلامية باللغة التركية ، ج . 5 ، ص . 85 وما يليها .

(40) H.H. , B.A. رقم 46440B. ، تحرير نوري أفندي المؤرخ في 5 محرم 1251 / 3 ماي 1835

(41) نفس المصدر H. H. رقم 37531 ، تحرير نوري افندي المؤرخ في 15 محرم 1251 / 13 ماي 1835 .

2 ٠ ـ محاولة الدولـة العثمانية استـرداد الجـزائر بالقـوة ٠

فى أوائل جوان 1835 ، جاء كتاب من القائم بالاعمال العثمانى فى باريس الى نورى أفندى ، وفيه يذكر أنه قيلت فى البرلمان الفرنسى كلمات تنادى بكون الجزائر تابعة لفرنسا ٠ ويرجـو السفير أن يكتب نص مذكرة ليقدمهـا لوزير الخارجية الفرنسى ٠

أحضر نورى أفندى مذكرة تثبت حق العثمانيين فى الجزائر وأرسلها الى باريس حيث قدمها روح الدين الى وزير الخارجية فى 19 جوان 1835 ، بعد أن ترجمها الى الفرنسية ٠ الا أن رئيس المترجمين فى الوزارة المذكورة أعادها بعد ثلاث أو أربع ساعات لروح الدين أفندى ، مخبرا اياه ، أن الوزير لن يستطيع أن يقبل مذكرة كهـذه (42) ٠

كان رفض المذكرة العثمانية قد دفع نوري أفندى للتقابل مع سفير روسيا من جديد ؛ وعندما اطلع هذا الاخير على نص المذكرة ، أبان أن أحسن تصرف هو ارسال صورة عن المذكرة الى اللورد بلمرستون (43) ٠ وطبقا لهاته النصيحة تقابل السفير نورى أفندى مع وزير خارجيـة انقلترا فى 14 جويليـة 1835 ، شارحا له رفض الوزير الفرنسى للمذكرة التى قدمها القائم بالاعمال العثمانى فى باريس ، الا أن اللورد رد عليه بأنه يكون من الافضل أن لا يبحث مطلقا فى الوقت الحاضر فى شىء من هذا الشأن (44) ٠

---

(42) **نفس المصدر** ، .H. H رقم .R 33015 تحرير روح الدين أفندى المؤرخ فى 23 صفر 1251 / 20 جوان 1835 . من اجل متن المذكرة راجع : .B. A ، .H. H رقم .T 33015

(43) **نفس المصدر** ، .H. H رقم .A 37510 تحرير نورى أفندى المؤرخ فى 5 ربيع الاول 1251 / 1 جويلية 1835 .

(44) **نفس المصدر** ، .H. H رقم .B 37538 تحرير نورى أفندى المؤرخ فى 21 ربيع الاول 1251 / 17 جويلية 1835 .

لقد فهم بشكل قطعي أن استرداد الجزائر من فرنسا بالمباحثات السياسية فقط ، غير ممكن • اذ كان على الدولة العثمانية أن تسلك طرقا أخرى للوصول الى الهدف • وعليه فقد أقدم الباب العالي في ربيع سنة 1835 على محاولة جريئة في سبيل حل قضايا شمال افريقيا ؛ اذ أن الخلاف الذى نشب قبل سنوات في طرابلس الغرب بين ابن يوسف باشا وحفيده وهما من سلالة القرمانلي ، قد اشتد بعد تدخل قنصلى انقلترا وفرنسا في ذلك (45) • وعلى الرغم من ارسال السلطان العثماني أمرا بتولية علي باي ابن يوسف باشا على طرابلس الغرب ، لم ينته الخلاف * ؛ ولذا أعد الباب العالي حملة بحرية لالحاق هذه الولاية بالمركز مباشرة • وبالفعل وصلت الى ميناء طرابلس الغرب في 26 ماي 1835 ، قوة بحرية عثمانية بقيادة الفريق نجيب ، وقد أنزل هذا الاخير قواته النظامية للبر ، ثم حبس علي باشا ومعيته الذين قدموا لباخرة القيادة ، وأعلن أنه أرسل ليكون واليا (46) • وهكذا انتهى حكم سلالة القرمانلي نتيجة سياسة الامر الواقع التي طبقها الباب العالي بمهارة بارعة ، وأصبحت طرابلس الغرب ولاية عادية كغيرها من الولايات العثمانية الاخرى •

كانت الدولة العلية قد اقتربت جدا من البلاد الجزائرية ، باستيلائها على طرابلس الغرب ، وأصبح الباب العالي قادرا على التفكير في التدخل الفعلي بهذه البلاد كما يستطيع أن يجرب ربط ولاية تونس ، الفاصلة بين طرابلس الغرب والجزائر للامبراطورية العثمانية بصورة عملية .

قدمت في الشهور الاولى من سنة 1836 ، عريضة من أهالي قسنطينة وما جاورها الى استنبول ، يخبر فيها الاهالي ، أنهم يحاربون الفرنسيين ،

(45) كان السبب في نشوب الخلاف في طرابلس الغرب هو عصيان قسم من الاهالي اثر زيادة يوسف باشا ، الضرائب في سنة 1832 ، ليتمكن من تسديد ديونه للتجار الانقليز ، وتماشيا مع اعلان العصاة محمد باى حفيد يوسف باشا ، رئيسا عليهم ، تنازل الباشا عن العرش لفائدة ابنه على باى ، وساعتها بدأ الصراع بين الابن والحفيد ، راجع : التر ، **المصدر السابق** ، ج . II . ص . 242 وما يليها .

(*) لقد أعددنا دراسة حول هذه الفترة التاريخية ، متناولين بالدرس علاقة طرابلس الغرب بتونس نأمل نشرها قريبا . **المعرب** .

(46) التر ، **المصدر السابق** ، ج . II ، ص . 244 ، لمعرفة تاريخ وصول الاسطول العثماني الى طرابلس الغرب راجع : فؤاد أزفو ، مادة (Karamanli) في دائرة المعارف الاسلامية باللغة التركية ، ج . 9 ص . 315 .

ويسترحمون السلطـان فى توجيـه منصب الولايـة الى أحمد باي (47) والي قسنطينة (48) *

لقد بحث فى مجلس الشورى المنعقد فى الباب العالى،أمر اعطاء رتبة الولاية لاحمد باى ، والى قسنطينة ، ولكنه لم يتوصل الى قرار بهذا الشأن ورئى من المناسـب التصـرف عـلى ضـوء رأى ومـوقـف السفيـر رشيـد بـاى ، الموجود بباريس منذ خمسة أو ستة أشهر • كما قرر فى نفس المجلس ، كتابة رسالة مشوقة لاحمد باى في جهاده ضد الفرنسيين،وعين المأمور الذى سيحمل رسالة الى قسنطينة ويدرس ظروف البلاد (49) •

لم يكن من السهل انتخاب الشخص الذى سيذهب الى قسنطينة ، وأخيرا صودق فى النهاية على تعيين كامل باي (50) أحد ضباط المدفعية لهاته الوظيفة،

---

(47) هو حفيد باى تركى ، ورغم كونه كراغليا (Küloğlü) أى ابن العبد ، فقد عين لولاية قسنطينة سنة 1826 . قاد الجناح الايسر من الجيش التركى (كذا) فى المعركة التى وقعت بعد نزول الفرنسيين الى سيدى فرج سنة 1830 ، وبعد سقوط مدينة الجزائر ، انسحب الى قسنطينة . ومع أنه احبط هجوم الفرنسيين على قسنطينة عام 1836 ، الا انه اضطر الى ترك المدينة للعدو فى السنة التالية ، وقد تابع جهاده حتى سنة 1848 ، حيث استسلم للفرنسيين، وتوفى سنة 1850 راجع : EMERIT, Marcel, *Les mémoires d'Ahmed Bey, dernier Bey de Constantine*

Revue Africaine الجزائر . 1949 ، ج . XLIII ص . 66 وما يليها .

(48) عريضة أهالى قسنطينة العربية المؤرخة فى 21 ربيع الاول 1251 محفوظة فى أرشيف رئاسة الوزراء ، رقم .D. H. H 47971 . كان أهالى قسنطينة قد بعثوا قبل سنتين أيضـا للسلطان عريضة مع رسالة أحمد باى ، العريضتان العربيتان المؤرختان فى 1 جمادى الاولى 1249 محفوظتان فى أرشيف رئاسة الوزراء ، ملف رقم 78 . ارادة رقم 15 ، ولما كان الباب العالى فى ذلك الوقت قد عقد الامال على سفارة رشيد باى فى باريس ، فقد ارسل جوابا يحمل مهر الصدر الاعظم رؤوف باشا ويحتوى على نصيحة لاحمد باى ليبقى تابعا للسلطان ، راجع • أمريت ، **نفس المصدر** ، ص.82 ، وهكذا يظهر للعيان خطأ جان سار حين احتمل فى أطروحته، **المصدر السابق** ، ص . 185 أن أحمد باى لم يكن قـد أسس علاقـات مع الدولة العثمانية قبـل سنة 1833 .

(*) لقد نشرنا هاتين الرسالتين الاخيرتين والمؤرختين فى 1 جمادى الاولى 1249 / 15 سبتمبر 1833 ضمن رسالة أخرى ، مع ترجمة الرسائل الثلاث الى الفرنسية :
Trois Lettres de Hadj Ahmed Bey de Constantine à la Sublime Porte, in, Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée
اكس أون بروفنس بفرنسا ، 1967 . العدد 3 ، ص . 133 ـ 152 . وقد طلب منها عميد كلية الاداب بالجزائر نشر تلك الرسائل بالعربية فى مجلة كلية الآداب ، وصدر هذا المقال فـى العدد رقم 9 بـ : **مجلة تاريخ وحضارة المغرب بالجزائر** ، الجزائر ، 1970 . **المعرب** .

(49) B. A. *H. H.* 47961 .

(50) محمد كامل باى ، الباشا فيما بعد ، عسكرى قيم ، تعلم الرياضيات فى اوروبا وعقب تعيينه أمير الاى (والى) عين فى اواخر سنة 1837 ، سفيرا فى برلين ، ثم فى الولايات المختلفة ، وفى وزارة التجارة ، مات سنة 1859 ، راجع : محمد ثريا ، **المصدر السابق** ، ج . 4 ص . 69 . راجع : جان سار ، **المرجع السابق** ، ص . 165 .

وسمح لكامل باي بالذهاب الى حلق الوادى على متن السفينة « فتح بولند » حتى طرابلس الغرب·وفى مطلع أفريل 1836 أقلع كامل باى حاملا معه التعليمات المتعلقة بمهمته (51) · وكان يحمل معه ظاهريا الى كل من والي تونس وأحمد باي ، خبر ولادة ابن نظام الدين أفندى (52) ·

وبعد شهر من تحريك الاميرالاي كامل باى ، أقلع وزير البحرية العثمانى مع قسم من الاسطول العثمانى « لتأمين استكمالات الانظمة اللائقة ، وادخال كافة الاهالى تحت الطاعة والانقياد » بطرابلس الغرب (53) ·

لم تتأخر الحكومة الفرنسية فى أخذ التدابير ازاء اقتراب الاسطول التركى من ميناء تونس والجزائر ، وبالفعل أخبر الاميرال روسين الباب العالى بمذكرة بتاريخ 7 جوان 1835 بأن أسطولا فرنسيا أقلع لحماية المصالح التجارية والسياسية الفرنسية فى حوض البحر الابيض وشواطىء اسبانيا (54) ·

وفى أوائل جويلية رجع كامل باي الى استنبول ، حيث شرح المحادثات التى أجراها مع باى قسنطينة فى التقارير التى قدمها الباب العالى ، وأخبر فيها أن أهالى قسنطينة قد خلعوا لقب الباشا على أحمد باى كما ضربت النقود باسم السلطان فى قسنطينة (55) · وقد أحضر كامل باى معه رسالة من باى قسنطينة يسترحم همة السلطان لانقاذ عنابة من الاحتلال الفرنسى ·

وعلى اثر ذلك ، تباحث الصدر الاعظم مع بعض رجال دولته ، وتوصلوا الى الاعتقاد بأن منح لقب باشا الى باي قسطينة رسميا ، أمر محظور ، ولكن ليس من الصواب عدم القيام بأى بادرة أمام مراجعة أحمد باى لهم ، وعليه فقد قرر الصدر لاعظم ارسال تعليمات لرشيد باي ، السفير فى باريس للتضييق على

---

(51) B. A. ، H. H. رقم 47957 ؛ لتاريخ تحرك كامل باى من استنبول راجع : جان سار ، **المرجع السابق** ، ص · 165 .

(52) **نفس المصدر** H. H. رقم B. 47569 ، خلاصة الاوراق التى قدمها كامل باى عند عودته من قسنطينة ، والمؤرخة فى 24 ربيع الاول 1252 / 19 جويلية 1836 .

(53) **تقويم وقايع** 25 محرم 1252 / 12 ماى 1836 ، رقم . 128 . اثبتت فيما بعد أن طاهر باشا ارسل الى تونس ليجعلها ، كما وقع بطرابلس الغرب ، ولاية تابعة لمركز الامبراطورية العثمانية مباشرة .

(54) H. H. B. A. رقم 8686 ؛ ترجمة مذكرة الاميرال روسين .

(55) **نفس المصدر** B. رقم H. H. 47965 ؛ اختصر لطفى فى كتابه تاريخ ، ج · 5 ص · 75 بعض المعلومات بشان منطقة قسنطينة من خلاصة تقارير كامل باى حرفيا .

الحكومة الفرنسية لاعادة الجزائر • وكان لحمدان أفندى ، الذى كان قد عاد الى استنبول فى تلك الايام ، الاثر الاكبر فى اتخاذ هذا القرار (56) •

ومن ناحية أخرى ، كان سفير فرنسا الاميرال روسين لا يدع الباب العالى فى سكون ، اذ بعد يومين من وصول كامل باي الى استنبول ، أرسل السفير الفرنسى مترجمه الى وزير الخارجية خلوصى باشا ، يخبره بأن منح لقب باشا الى باى قسنطينة سيؤدى الى عواقب وخيمة (57) •

وبعد أسبوع من ذلك ، أفصح الاميرال روسين ، بتعليمات كتبها لمترجمه ، بأن أسطول فرنسا المقلع الى البحر الابيض المتوسط ، سيتوجه الى المياه الاقليمية التونسية ، وكان لا يخفى أن سبب هذا الاجراء هو وجود الاسطول العثمانى فى أطراف تونس (58) • وقد سلم السفير مترجمه نسخة من تلك التعليمات ليبلغها الى الباب العالى • وفيها يسأل السفير وزير الخارجية العثمانى ، ما اذا كان قائد البحرية سيذهب الى تونس أم لا ؟ الا أن خلوصى باشا ، ادعى فى رده للسفير ، أن مهمة قائد البحرية هى الذهاب الى طرابلس الغرب ، ومع هذا فلا يستطيع أحد أن يتنبأ امتداد مهمة قائد البحرية الى تونس • وكان المترجم يوصى من نفسه ، بوجوب عدم تجاوز قائد البحرية، حدود طرابلس الغرب ، خوفا من احتمال منع الاسطول الفرنسى ، السفن العثمانية الاقتراب من تونس •

ولما كان الصدر الاعظم لا يرى من المناسب حدوث اصطدام بين الاسطولين ، فقد طلب اذنا من السلطان ، ليكتب رسالة الى طاهر باشا يحذره فيها من الذهاب الى تونس ، وقد حصل الصدر الاعظم على الاذن (59) •

---

(56) B. A. H. H رقم .Y 47965 ، أبان حمدان أفندى مطالعته خطيا وتوجد تحت رقم C. H. H. 47965.

(57) **نفس المرجع** ، H. H. رقم 965 47 . عين خلوص باشا وزيرا للخارجية بدل عاكف باشا الذى عزل ، وذلك فى 16 جوان 1836 ، راجع : **تقويم وقايع** بتاريخ 7 ربيع الاول 1258 / 23 جوان 1836 ، رقم الجريدة : 130 .

(58) **نفس المرجع** ، H. H. رقم 46866 . ترجمة التعليمات التى أعطاها الاميرال روسين الى مترجمه بتاريخ 11 جويلية 1836 .

(59) B.A , H.H. رقم 46866 ؛ نلفت الانتباه الى عدد طلب الباب العالى مساعدة انقلترا لمنع ذهاب الاسطول الفرنسى . وكان سبب ذلك ، تردى العلاقات بين الباب العالى وسفير انقلترا اللورد بنسنبى (Ponsonby) بسبب قضية تشرشل فى تلك الآونة . اذ حبس الانقليزى تشرشل بسبب جرحه ولدا تركيا وهو يصطاد فى كاديكو (Kadiköy) . طلب السفير الانقليزى بشدة من وزير الخارجية اطلاق سراح تشرشل معتمدا على الحصانة الدبلوماسية وبعد ان فرض السفير أمره على الباب العالى ، أصر أيضا على تقديم ترضية . فكان عزل عاكف افندى من الوزارة ، ترضية للسفير ، راجع : **لطفى** ، تاريخ ، ج 5 ص . 48 .

قدم الاميرال روسين لزيـارة خلوصي باشا بمنزلـه فى 24 جويلية 1836 ، ليهنئه بتعيينه وزيرا للخارجية . وسأل السفير الفرنسى فى المقابلة عما اذا كان أمر منح باى قسنطينة لقب الباشا ، سيرسل بواسطة كامل باى أم لا ؟ الا أن الوزير اكتفى بتكرار ما قاله لمترجم السفارة قبـل زمن قليل . واثـر ذلك سأل السفير ما اذا كانت لقائد البحرية مهمة فى تونس أم لا ؟ فرد الوزير على ذلك بالافصاح من أن طاهر باشا لم ينه أعمالـه فى طرابلس الغرب التى هى أصل وظيفته . هذا وقد استدعي الاسطـول الى استنبول . أما طاهـر باشا قائد البحرية فسيبقى فى طرابلس الغرب حتـى الربيـع القادم . وفى أثنـاء الحديـث ، أعلـم الاميـرال روسـين أن فرنسـا لن تعيـد الجـزائـر ؛ أمـا خلوصي باشا فقد أعلن من جهته ، أن الدولة العثمانية تحتفظ لنفسها بحقها فى تلك البلاد (60) . .

لم يكتف سفير فرنسا بما علمه من وزير الخارجية بأن الاسطول لن يذهب الى تونس ، بل أرسل مترجمه للباب العالى ليترك له نسخة من التعليمات التى أعطاها السفير له؛وفيها كان الاميرال روسين يبين أن فرنسا لن تغض الطرف أبدا عن وجود وال معاد لها فى تونس ، كما يلفت نظر مترجمه الى تذكير وزارة الخارجية العثمانية بوجوب عدم التدخل فى قسنطينة (61) .

قبل ارسال الضابط كامل باى الى قسنطينـة لم يعط رشيد باى ، السفير بباريس ، جوابا قاطعا للسؤال الذى وجهـه له الباب العالى كتابـة بأمر منح أحمد باي رتبة الولاية . الا أن رشيد باي ترك للسلطان أمر القرار فى ذلك الشأن (62) . وبعد عودة كامل بـاي الى استنبـول ، ارسلـت الى السفيـر بباريس ، تعليمات من وزارة الخارجية العثمانية بطلب اعادة الجزائر من الحكومة

---

(60) H. H. , B. A. رقم A٠ 47965 : تقرير اجتماع خلوصى باشا مع الاميرال روسين . تبين هاته الوثيقة أن الاجتماع جرى يوم الاحد . وتوضح ان مجيىء مترجم السفارة الى الباب العالى كان قبل عشرين يوما بخصوص قضية قسنطينة . وقد رأينا كيف تقابل المترجم مع وزير الخارجية بعد يومين فقط من عودة كامل باى وبما أن المؤلف ، جان سار ، يسجل فى أطروحته ، **المصدر السابق** ، ص . 165 ، ان كامل باى قد عاد الى استنبول فى 2 جويلية 1836 ، نستنتج ان المقابلة قد تمت يوم 24 جويلية 1836 ، وحسب جداول مهلر ـ وستنفلد (Mohler - Wüstenfeld) يكون ذلك اليوم هو يوم الاحد .

(61) H. H. , B. A. رقم 32986 : ترجمة التعليمات التى اعطاها روسين لمترجمه فى 8 أوت 1836 .

(62) **نفس المصدر** ، H. H. رقم L. 47961 : تحرير رشيد باى المؤرخ فى 8 ذى القعدة 1251 / 26 فيفرى 1836 ، راجع : بيسون ، **المصدر السابق** ، ج . III ، ص . 209 وما يليها. رقم الوثيقة 37 .

الفرنسية ؛ الا أن السفير أعلم بأنه ليس من الممكن فتح موضوع الجزائر بباريس ؛ وعليه فقد كاتب نوري أفندي السفير في لندن وقرر معه الاجراء المناسب في هذه القضية ؛ وبعدها يقدمان النتيجة الى الباب العالي (63) .

كتب نوري أفندي الى رشيد باي يعلمه ، بأنه تسلم تعليمات جديدة من استنبول بخصوص مهمته الجزائرية ، وفيها سيطلع نوري أفندي على رأي رشيد باي في الموضوع . وأعلمه أخيرا بأنه سيأتي الى باريس في غضون أسبوع ، ووعده ببحث القضية بحثا وافيا (64) . وبالفعل وصل نوري أفندي في الاسبوع الاول من سبتمبر 1836 الى العاصمة الفرنسية ، وبدأ التباحث مع رشيد باي عن الطريقة التي ستتبع لانقاذ الجزائر من الاحتلال الفرنسي (65) ، وفي نهاية المباحثات التي استمرت أياما ، رأى السفيران العثمانيان أنه من المناسب أن يبحثا قضية الجزائر مع الاميرال روسين الذي أعلن أنه سيعود الى باريس في اجازة ، اذ بعد أن يعرفا وجهة نظره في القضية ، يعرضان على السلطان القيام بمساع جديدة في باريس ولندن (66) .

وفي هذه الاثناء نقل رشيد باي الى سفارة لندن ونوري أفندي الى باريس . وقدم رشيد باي خلفه الى ملك فرنسا في 7 أكتوبر سنة 1836 . أما رشيد نفسه فقد حصل على أعلى رتبة من وسام الشرف (Légion d'Honneur) . وفي أواسط أكتوبر وصل الى لندن (67) .

وفي جواب الباب العالي على القرار الذي توصل اليه سفيراه في لندن وباريس بشأن الجزائر ، كان الباب يأمرهما بالتكلم في حق الدولة العثمانية للحكومتين الفرنسية والانقليزية كلما سنحت الفرصة بذلك . وقد أعلن نوري أفندي بأنه سيتصرف حسب هاته التعليمات ، راسما خطة عمل في حالة وقوع

---

(63) B. A ملف رقم 78 ارادة رقم 7 . نسخة من التحرير الذي أرسله رشيد باى الى نورى افندى ، راجع بيسون : **المصدر السابق** ، ج . III ، ص . 215 وما يليها رقم الوثيقة 38 .

(64) **نفس المصدر** ، تحرير نورى أفندى المؤرخ فى 7 جمادى الاولى 1251 / 21 أوت 1836 .

(65) H. H رقم G. 37535 ، تحرير رشيد باى نورى أفندى المؤرخ فى 28 جمادى الاولى 1252 / 10 سبتمبر 1836 .

(66) **نفس المصدر** .H. H. رقم .O 46880 ؛ تحرير رشيد باى الى نورى أفندى المؤرخ فى 6 جمادى الآخر 1252 / 19 سبتمبر 1836 .

(67) **نفس المصدر** ، H H رقم 34088 ؛ حل رسالة رشيد باى المكتوبة بالارقام السرية والمؤرخة فى 27 جمادى الآخر 1252 / 9 اكتوبر 1836 . نشر الاعلان بتبديل السفيرين فى حريدة تقويم وقايع المؤرخة فى 1 جمادى الآخر 1252 / 13 سبتمبر 1836 رقم 135 .

مناقشات في مجلس النواب الفرنسي بشأن قضية الجزائر ، كما استعد لسؤال الاميرال روسين عن رأيه في الامر (68) •

ولكنه عندما نشرت أنباء في فرنسا من أنها سترسل جيشا ضد قسنطينة ، قرر نوري أفندي القيام بمحاولة جبارة ، اذ بعد دراسة دقيقة تخص المسلك الذي تبناه من الدول الغربية ، أوصـل الى الباب العـالي خطته بواسطة قائد البارود أوهـان (Ohanes) الذي كان في طريقه للعودة الى استنبول •

كان السفير العثماني يقترح طريقتين لاسترداد الجزائر تنص أولاهما : على تقديم بيانات لسفراء الدول الاروبيـة في استنبول ، تبين حـق الامبراطورية العثمانية بالجزائر ، على أن يعقب ذلك تقوية هـذا الادعاء رسميا أمام الحكومة الفرنسية . وكانت ثانيتهما تنص على مراجعة حكومتي انقلترا والنمسا،وأخذ اذن بالسماح له بالعمل في باريس كمـا يشاء ، لتأمين الحـاق الجزائر بالدولة العثمانية من جديد • وقد طرح نوري أفندي في خطته ، أنـه في حالة تردي العلاقات بين الدولتين بسبب مساعيه يمكن آنذاك ازالة الخلاف الـذي قـد ينشب بمجرد عزله • وقد وجد الباب العالي تكليف السفير العثماني مناسبا ، فأرسل له الاذن المطلوب بعد مصادقة السلطان عليه (69) •

لما علم رشيد باي بخطة نوري أفندي ، بعث اليه يسألـه ، كيف يجب أن يتصرف هو في لندن ازاء القضية الجزائرية (70) • لقد حانت الفرصة لقيام السفيرين العثمانيين بمحاولتهما إذ أن الجيش الفرنسي المهاجم لقسنطينـة رد على أعقابه مدحورا في أواخر نوفمبر 1836 (71) •

وفي الرد الذي كتبه نوري أفندي على الرسالـة التي تسلمهـا من لندن ، كان يرجو من رشيد باي جس نبض الحكومة الانقليزية في حق الباب العالي على الجزائر ؛ وبعد قليل تقابل رشيد باي مع اللورد بلمرستون وزير الخارجية الانقليزية ، وفاتحه قائلا : « بأن السفير العثماني في باريس ، مكلف بطلب استرجاع الجزائر من فرنسا ثانيـة ، وأن الباب العالي يأمـل أن لا تتركـه

---

(68) B.A. , *H.H.* رقم 46703F. ؛ تحرير نوري أفندي المؤرخ في 3 شعبان 1252 / 14 نوفمبر 1836 .

(69) **نفس المصـدر .**

(70) **المصدر السابق** ؛ حل تحرير رشيد باى المؤرخ في 13 شوال 1251 / 22 جانفي 1837 .

(71) في 21 نوفمبر 1836 تقدم جيش فرنسي قوامه 7400 رجل من أسوار قسنطينة بقيادة المرشال كلوزال (Clauzel) والى الجزائر العام ، ولكنه اضطر الى الانسحاب بسبب مدافعة المدينة القوية وبسبب البرد الشديد الذى ابتدأ مبكرا ، وقد ترك الجيش وراءه جرحاه وعتاده ونتيجة لهذا الفشل عزل كلوزال كحاكم عام للجزائر ، راجع JULIEN, Charles André, *Histoire de l'Afrique du Nord* باريس ، 1931 ، ص . 594 وما يليها .

انقلترا يجابه الموضوع وحده » ؛ ولكن اللورد أبان : « بأنه لن يستطيع الافصاح عن وجهة نظره بخصوص قضية الجزائر » (72) .

واثر تلك المقابلة التى تمت فى 26 جانفى 1837 ، لم يفقد رشيد باي تفاؤله، وقرر أن يخبر نورى أفندى بأنه لن يتراجع عن مخططه السابق (73) . وعندما علم نورى أفندى أن انقلترا لن تساعد فى قضية الجزائر ، فهم أن التصرف بقوة وحزم أمام الحكومة الفرنسية لن يعطى نتائج طيبة ؛ ومع ذلك لم يرض بالسكوت عن الاستعدادات الفرنسية للهجوم على قسنطينة مرة ثانية . ولذا رأى السفير أنه من المفيد فتح موضوع القضية الجزائرية مع الاميرال روسين الموجود فى باريس منذ مدة .

وفى أواسط فيفرى 1837 ، اجتمع نورى أفندى بالاميـرال روسين ؛ وبعد أن أبان نورى أفندى أسفه لمحاولة فرنسا التدخل فى شؤون الجزائر الداخلية ، قدم لروسين اقتراحـا مبهما ، للسعي معا من أجل اعـادة الجزائر الى الدولة العثمانية ، صاحبتها الحقيقية * . وردا على ذلـك أوضح الاميـرال روسين أن الحكومة الفرنسية تعتبر الاستيلاء على قسنطينـة دين شرف عليها ؛ ونصح السفير العثمانى بعدم فتح بحث عن الجزائر مع رجال الدولة الفرنسيين (74).

وفى الاسبوع التالى ، علم نورى أفندى أن النمسا أيضـا تتصرف بميوعة ازاء القضية الجزائرية (75) ؛ اذ أن الفريق أحمد فتحى باشا (76) الذى كان قد أرسل الى فينا (Vienne) كسفير فوق العادة قبـل ستة شهور ، دعا الامير مترنيخ ، رئيس وزراء النمسا للتدخل لدى الحكومة الفرنسيـة لصالح الدولة العثمانية ، وكتب رئيس الوزراء النمساوى مذكرة سرية ، أرسل الباب العالى نصها الى السفير العثمانى بباريس ، وفيها يخمن أن الفرنسيين لن يستطيعوا

---

(72) .B. A. , H. H. رقم .A 48981 ؛ حل تحرير رشيد باى المؤرخ فى 21 شوال 1252 / 30 جانفى 1836 .

(73) نفس المصدر ، .C. H. H 48981 .

(*) انه من الغريب جدا أن نرى سفير الدولة العثمانية يطلب من سفير فرنسا السعى معـا لاسترداد الجزائر ! بساطة وبراءة ، المعـرب .

(74) .B. A ملف 78 رسالة رقم 39 ؛ حل تحرير نورى أفندى المؤرخ فى 7 ذى القعدة 1252/ 7 فيفرى 1837 .

(75) .B.A. , H.H رقم .A 46740 ؛ حل تحرير نورى أفندى المؤرخ فى 15 ربيع الاول 1252 / 31 أفريل 1836 .

(76) كان أحمد فتحى باشا قد شغل قبل سنة فى سفارة فينا مؤقتا ، وفى سنة 1838 ، أصبح سفيرا فى فرنسا ، وبعد عودته فى السنة التالية ، تزوج من علية سلطان ، ثم شغل وزيرا للتجارة فرئيسا بمجلس الولاء فمشيرا للمدفعية وتوفى سنة 1858 ، راجع : محمد ثريا ، **المصدر السابق** ، ج . 4 ، ص . 9 .

ادارة الجزائر مدة طويلة بعد فشلهم فى قسنطينة ، ويذكر ببقاء الباب العالى شاهدا (متفرجا) فى الوقت الحاضر (77) .

وعندما سرت شائعة بأن فرنسا تستعد للهجوم من جديد على قسنطينة ، رأى سفير النمسا فى استنبول أنه من المناسب أن توزع بيانات تؤكد تبعية الجزائر للسلطان ، وتعطى نسخ منها الى السفراء الموجودين لدى الدولة العثمانية ، وتقدم أيضا نسخة من تلك البيانات الى الحكومة الفرنسية بواسطة السفير العثمانى بباريس (78) .

حبذ الباب العالى ، من أجل تخليص الجزائر ، هذه التوصية التى كان قد اقترح مثلها نورى أفندى ، فأرسل الباب العالى التعليمات اللازمة الى فتحى باشا السفير فى فينا . كما طلب هذا الاخير ، فى أواخر فيفرى 1837 ، تعليمات مكملة من الامير مترنيخ بخصوص اقتراح سفير النمسا فى استنبول الا أن جواب رئيس الوزراء لم يكن مطمئنا ؛ فقد كان يعتبر تصريح الدولة العثمانية لسفراء الدول الكبرى بحقها فى الجزائر كافيا ، وكان يصوب نشر البيانات فى حالة ارسال قوات فرنسية الى قسنطينة فقط (79) .

وقبلها بمدة ، وصلت رسالة الى الباب العالى من أحمد باى قسنطينة كان قد أرسلها الى طاهر باشا (80) الذى نقل فى نوفمبر 1836 من وزير البحرية الى ولاية طرابلس الغرب . كان أحمد باي يطلب فى تلك الرسالة ، مساعدة من الدولة العثمانية للصمود أمام العدوان الفرنسي الجديد . ولما كان الباب العالى يدرك صعوبة ارسال الاسلحة والعتاد الحربى الى باي قسنطينة ، فقد رأى من الواجب التحقق من هذه القضية ، آمرا سفيريه فى باريس ولندن أن يعملا على تأخير الاستعدادات الحربية المزمع اجراؤها فى فرنسا (81) .

وبناء على تعليمات الباب العالى ، بدأ نورى أفندى فى تنفيد عمله ، وأوضح لرشيد باي فى رسالة كتبها اليه فى أوائل أفريل 1837 بأنه سيتقابل فى القريب مع وزير الخارجية الفرنسية وسيتحادث معه بشأن القضية الجزائرية ، ورجاه أن يطلعه على المباحثات التى سيقوم بها فى لندن بهذا الشأن . وردا

---

(77) B. A. , H. H. رقم 47263 ، صورة مترجمة عن مذكرة مترنيخ السرية .

(78) **نفس المصدر** H. H. رقم 48981 ؛ صورة عن المذكرة التى قدمها سفير النمسا .

(79) B. A ملف رقم 78 ، أوراق رقم 59 ؛ تحرير فتحى باشا المؤرخ فى 22 ذى القعدة 1252 / 1 مارس 1837 .

(80) **تقويم وقايع** ، 9 شعبان 1252 / 20 نوفمبر 1836 ، رقم 139 .

(81) B. A. , H. H. رقم 48981 .
كتب الباب العالى لفتحى باشا يأمره باستطلاع وجهة نظر رئيس وزراء النمسا بشأن ارسال عتاد حربي لباى قسنطينة ؛ وعندما سأل فتحى باشا ذلك من الامير مترنيخ فى نهاية مقابلته

على ذلك ، أعلم رشيد باي بأنه سيتمكن من فتح قضية الجزائر للحكومة الانقليزية بعد المقابلات التى ستجرى فى باريس (82) .

لقد تعب نورى أفندى كثيرا ليجعل وزير الخارجية الفرنسى الكونت مولي (Molé) يقبل الاجتماع به . وأخيرا تمكن من ذلك فى أوائل جوان 1837 . وعندما نشر فى الصحف ما قاله ڤيزو (Guizot) ، أحد الوزراء السابقين ، فى البرلمان فى تلك الاثناء من أنه لم يبق للدولة العثمانية حق فى الجزائر ، أبان السفير العثمانى نورى أفندى فى تلك المقابلة عدم صحة ذلك الادعاء ، غير أن الوزير ذكر بجواب شديد اللهجة ، أن فرنسا أخذت الجزائر دافعة الثمن ، دما فرنسيا ، الا أنه قبل ، فى نهاية المقابة ، تكليف نورى أفندى ببدء المباحثات بشأن الجزائر (83) .

غادر السفير العثمانى وزير الخارجية بحيرة وبارتياح ، ولكن سرور السفير لم يستمر طويلا ، اذ علم بعد أيام أن عبد القادر الجزائرى الذى يحارب الفرنسيين منذ سنتين ، قد قرر عقد معاهدة صلح مع فرنسا . ومن هنا فهم نورى أفندى سبب تظاهر الكونت مولي للمباحثات بشأن القضية الجزائرية ، ويبدو أن الوزير كان يرغب فى ترك باب التفاهم مع الباب العالى مفتوحا ، خشية أن لا يقترب الامير عبد القادر من التفاهم (84) .

لما وجد السفير العثمانى نورى أفندى فى باريس أن ربط علاقات صداقة بين فرنسا والامير عبد القادر منافيا لمصلحة الدولة العثمانية ، أرسل فى 11 جوان 1837 رسالة الى وزير الخارجية الفرنسية يطلب فيها تعيين وقت لمقابلته ، وبين السفير فى رسالته « استغرابه وتأسفه الكامل الموجب ... بسبب وضع شخص عادي تابع للسلطنة العلية ، بشكل حاكم . ومصالحة جناب فخامة دولة

معه ، وافق رئيس وزراء النمسا بشكل مبهم ، على تقديم الدولة العثمانية مساعدات مادية لباى قسنطينة . تحرير فتحى باشا المؤرخ فى 22 ذى القعدة 1252 / مارس 1837 ، والموجود فى : B. A. ، ملف رقم ، 78 اوراق 59 .

وعندما ذكر باى قسنطينة السلطان بوعده ارسال جنود ومدافع اليه ، كان فى ربيع 1837 واثرها بقليل ، قد وصلت الى تونس مدافع ، ويدعى ان باى تونس قد حجزها ، راجع : رئاسة الوزراء على وثيقة تثبت هذا الادعاء بشكل قاطع ، غير أنه فى رسالة لحمدان افندى غير مؤرخة وغير موقعة ، يرى من المناسب ارسال اسلحة لباى قسنطينة ، شريطة مراعاة السرية فى ذلك ، راجع : B. A. ، H. H. رقم 47971 .

(82) B. A.، رقم J. 46900 ؛ رسالة رشيد باى المؤرخة فى 1 محرم 1253 / 8 افريل 1837 .

(83) B. A. ، H. H. رقم A. 46900 ؛ رسالة نورى أفندى المؤرخة فى 5 ربيع الاول 1253 / 10 افريل 1837 .

(84) **نفس المصدر** H. H. رقم J. 37529 ؛ رسالة نورى أفندى المؤرخة فى 13 ربيع الاول 1253 / 18 افريل 1837 .

فرنسا مع ذلك الشخص المرقوم أمر مناف لاصول روابط الاخلاص والصفاء القائمة بين فرنسا والدولة العثمانية العلية » (85) ·

قدم وزير خارجية فرنسا ردا كتابيا ، بتاريخ 18 جوان 1837 ، وكان يوضح بصراحة أن فرنسا لم تعترف مطلقا بحق أية دولة أجنبية في التدخل في شؤون أوجاق الجزائر القديم · وانتهى الرد بقوله : « يختم كتاب حضرتكم بطلبكم مقابلة ثانية ، فان كنتم تبدون نفس الرغبة بعد اطلاعكم على هذا الرد ، فسأعمد الى قبول حضرتكم ويشرفني أن أعلمكم بموعد المقابلة · » (86) ·

وردا على ذلك ، كتب نورى أفندى في 24 جوان 1837 ، مخبرا الوزير بأنه تخلى عن التباحث بشأن قضية الجزائر وأوضح أيضا بأن : « لا فائدة من المقابلة المزمع اجراؤها ، لانه ليس من مهمتي بحث هذه المادة أو معارضتها · » (87) ·

وأثناء عرض السفير العثماني على الباب العالى الوقائع الجارية ، كتب معلنا أنه لا يصر على التباحث من أجل منع تردى العلاقات بين الدولة العثمانية وفرنسا ، ولكنه كان أيضا لا يرى من المناسب السكوت تماما ، وعلى أية حال ، فعندما حضر لتوديع الاميرال روسين الذى سيعود الى استنبول في القريب العاجل ، شرح له السفير العثماني فحوى مراسلته مع الكونت مولي · وعلى اثر قول السفير الفرنسي بوجوب ترك العثمانيين الجزائر أوضح نورى أفندى أن تلك البلاد عثمانية (88) ·

أخبر السفير العثماني بباريس ، رشيد باي ، بأنه أجرى مقابلة مع وزير خارجية فرنسا وبعث له رسالة عقب المقابلة ، استعد اثرها رشيد باي للشكاية من حكومة فرنسا الى الحكومة الانقليزية بسبب السياسة التى تنتهجها في القضية الجزائرية(89) .وعندما أعلن رسميا في جويلية 1837 عن توقيع معاهدة

(85) نفس المصدر .H. H رقم 37529 : صورة من الرسالة التى بعثها نورى أفندى لوزير خارجية فرنسا ، وتاريخ ارسالهما وارد في رد وزير الخارجية عليها .

(86) .H. H. , B. A رقم 46903 : الرسالة الفرنسية التى وجهها الكونت مولى الى نورى افنـدى .

(87) .B. A ، ملف رقم 78 : اوراق رقم 32 . صورة رسالة نورى أفندى المؤرخة في 20 ربيع الاول 1253 / 25 افريل 1837 .

(88) .H.H. , B.A رقم 46887 : حل رسالة نورى أفندى المؤرخة في 23 ربيع الاول 1283/ 28 أفريل 1837 .

(89) .H. H. , B. A رقم .B 37560 : حل رسالة رشيد باى المؤرخة في 14 ربيع الاول 1254 / 19 جوان 1837 .

بين فرنسا والامير عبد القادر ، قرر رشيد باي التكلم مع وزير خارجية انقلترا في هذه المسألة (90) .

كان السفير العثماني رشيد باي قد علم قبل ذلك بقليل ترقيته لمنصب وزارة الخارجية (91) ، وكان الوزير الشاب يجتمع فى 5 أوت 1837 مع اللورد بلمرستون ، وينقل له الاخبار الواردة من باريس ويستشيره عن التصرف بشأن قضية الجزائر ، وأضاف قائلا : « إن سبب تصالح فرنسا مع الامير عبد القادر هو أن تتمكن فرنسا من التصرف كما تشاء فى قسنطينة » ؛ وحاول وزير خارجية انقلترا التنصل كالعادة من سؤال رجل الدولة العثماني ، ولكن في ختام المقابلة رأى وزير خارجية انقلترا من المناسب أن يتباحث الباب العالى مع الحكومة الفرنسية كلما حان الوقت ، فيما يتعلق بحقه فى الجزائر (92) .

وفي هذه الاثناء كان نورى أفندى يتسلم من الباب العالى أمرا بالعمل على اعاقة ابرام المعاهدة بين فرنسا وعبد القادر . وفي الوقت الذى يعين فيه رشيد باي وزيرا للخارجية ، عين السفير العثماني في باريس مستشارا له (93) . وأعلم نورى أفندى بالامر الجديد بالتعليمات القادمة من استنبول . أما رشيد باي ، فكان يشرح باختصار فى رده عن مقابلته مع اللورد بلمرستون ، اذ كان يرى من الواجب عليه أن يبين لوزير الخارجية الفرنسية عدم اعتراف الدولة العثمانية بالمعاهدة المعقودة مع الامير عبد القادر (94) .

كان نورى أفندى قد أمن من قبل عدم التدخل فى موضوع الجزائر ثانية؛ ففي رسالته الثانية التى أرسلها للكونت مولي ، كتب يقول : « أن لا مهمة له

---

(90) **نفس المصدر** H. H. رقم A. 46602 ؛ كتاب رشيد باى المؤرخ فى 19 ربيع الاول 1253 / 24 جوان 1837 .
كانت معاهدة صلح تفنا (Tafna) الموقعة فى 30 ماى 1837 بين الجنرال الفرنسي بوجو (Bugeaud) والامير عبد القادر ، تترك للامير كل غرب الجزائر الواقع خارج منطقة سواحل وهران ، راجع : جوليان ، **المصدر السابق** ، ص . 595 .

(91) H.H. , B.A. ملف رقم 78 ، ارادة رقم 53 ؛ كتاب رشيد باى المؤرخ فى 19 ربيع الآخر 1253 / 24 جويلية 1837 .

(92) B. A. , H. H. رقم g. 37512 حل رسالة رشيد باى المؤرخة فى 8 جمادى الاولى 1253 / 11 اوت 1837 . ومن هذه المقابلة هاجم وزير الخارجية العثماني ، باقوال جارحة ، عدم اهتمام الدول الاوروبية بالدم المسلم المراق فى الجزائر فى حين أن الدول الاوروبية كانت قد تدخلت باسم الانسانية فى ثورة مورا !

(93) نشرت هاته التعيينات فى تقويم الوقايع رقم150بتاريخ 9 ربيع الآخر 14/1253 جويلية 1837

(94) B. A. , H. H. رقم L. 37535 ؛ حل تحرير نورى أفندى المؤرخ فى 12 جمادى الاولى 1253 / 15 اوت 1837 .

بالنسبة للجزائر » ، وذلك ليتمكن من ادعاء ذلك فى المستقبل (95) . ذكر المستشار أفندى فى 26 أوت 1837 للكونت مولي أن عقد معاهدة مع شيخ عربى مثل عبد القادر ، يعد عملا منافيا لعظمة فرنسا ، وردا على ذلك أوضح الكونت أن حكومته حرة فى التصرف الذى تشاؤه .

وعندما ذكر نورى أفندى أن للباب العالى الحق فى مساعدة باى قسنطينة ، الملتجىء لمساعدة السلطان ، لم يتوان الكونت مولي فى اشعار المستشار بأنه فى حالة تحقيق السلطان لمطلب باى قسنطينة ، فان فرنسا ستعتبر نفسها فى حالة حرب مع الدولة العثمانية . وفي نفس المقابلة أخبر مستشار الخارجية العثمانية ببدء المباحثات بين فرنسا وأحمد باى قسنطينة (96) .

أخبر نورى أفندى الباب العالى بعد أسبوعين ، بأن أحمد باي قد قطع مباحثات الصلح مع فرنسا ، مما جعل الحملة الجديدة ضده تصبح قطعية كما أن سبب تخلي أحمد باى عن عقد الصلح مع فرنسا هو الاعلان فى الصحف عن خروج الاسطول العثمانى للبحر الابيض المتوسط (97) .

وبالفعل كان الاسطول العثمانى قدغادر استنبول في أواخر جويلية 1837 (98)، متوجها الى طرابلس الغرب تحت قيادة وزير البحرية أحمد فوزى باشا (99) .
وجد الباب العالى من المناسب اخبار سفيري انقلترا وفرنسا ، سلفا عن مهمة وزير البحرية الى تونس التى تتمثل في ابلاغ باي تونس مصطفى باشا (100) عن النية الحسنة التى يكنها السلطان له (101) ؛ الا أن اللورد بنسنبى ، سفير انقلترا ، لم يستصوب ظهور قائد البحرية العثمانى فى تونس فجأة دون سابق اعلام ، وكان يوصى سرا ، بأن ترسل تعليمات السلطان الى باي تونس

---

(95) B. A. ملف رقم 78 ، ارادة رقم 64 ؛ حل تحرير نورى افندى المؤرخ فى 5 جمادى الاول 1253 / 8 أوت 1837 .

(96) نفس المصدر ، ارادة رقم 53 . حل تحرير نورى أفندى المؤرخ فى 25 جمادى الاولى 1253 / 28 اوت 1837 .

(97) نفس المصدر ، ارادة رقم 31 ؛ حل تحرير نورى أفندى المؤرخ فى 8 جمادى الاولى 1253 / 11 اوت 1837 .

(98) تقويم وقايع رقم 152 بتاريخ 9 جمادى الاولى 1253 / 12 أوت 1837 .

(99) كان احمد فوزى باشا وزير البحرية العام منذ أواخر سنة 1836 . وفى سنة 1839 كلف بحملة على مصر ، وقاد الاسطول الى الاسكندرية ملتجئا الى والى مصر . ومات هذا الباشا الملقب بالهارب بمصر سنة 1841 ، راجع : محمد ثريا ، المصدر السابق ، ج . 1 ، ص . 294 وما يليها .

(100) على أثر موت حسين باشا ، أصبح أخوه مصطفى باشا ، بايا على تونس وقد توفى سنة 1837، راجع : التر ، المصدر السابق ، ج . 11 ، ص . 169 وما يليها .

(101) H. H. ، B. A. رقم 28305 .

بواسطة موظف ، حال وصول الاسطول العثمانى الى طرابلس الغرب ، ويرى من الواجب قبل أن يتحرك قائد البحرية الى تونس أن يتخذ قرار بارسال الموظف الى تونس أم لا ! (102) ٠

أما فرنسا فقد قابلت نبأ اقلاع السفن العثمانية الحربية الى تونس بارسال أسطول الى الميناء نفسه ٠ وأخبر الاميرال روسين الباب العالى بقرار حكومته هذا فى 24 سبتمبر 1837 ، بعد أن عاد لوظيفتــه فى شهر أوت 1837 (103) ٠

وفى تلك الاثناء حدثت تغييرات هامة فى الباب العالى ، حيث عزل برتيف أفندى من وزارة الامــلاك ، وعين بدله عاكف باشا (104) ٠ وعلى اثــر ارسال فرنسا أسطولهــا الى تونس ، تقابــل عاكف أفندى مع سفير انقلتــرا اللورد بنسنبي فى أوائل أكتوبر 1837 ٠ وأثناء تلك المقابلة أوضح الوزير أن للدولة العثمانية الحق فى منع الفرنسيين من القيام بحملة على قسنطينة ، أما السفير فذكر بوجوب عدم القيام بتدخل فى تونس والجزائر (105) ٠

مر وزير البحريــة بالاسطول العثمانى على جــزر بحر إيجــه ، ووصل الى طرابلس الغرب ٠ وطبقا لنصيحة السفير الانقليزى ، ارسل القائد البحرى أحمد توفيق باي الى تونس صحبة باخرتين فى أواخر أوت 1837 ٠

ومع أن المأمور العثمانى طلب مقابلة الوالي مصطفى باشا ، الا أنه لم يوفق فى ذلك ٠ وعاد اثر رسو خمس قطع بحرية فرنسية فى ميناء تونس وبعد وصوله لها بثلاثة أيام ، وأحضر معه رجــاء والي تونس بالغــاء قدوم وزيــر البحرية الى تونس ، ولم ينس مصطفى باشا أن يقدم خمسمائــة كيس فضة كهدية (106) ٠

---

(102) **نفس المصدر** ، .H. H رقم 46442 ؛ بلاغ اللورد بنسنبى الشفهى للباب العالى ٠

(103) جان سار ، **المصدر السابق** ، ص ٠ 175 وما يليها ٠

(104) **تقويم وقايع** ، رقم 154 ، بتاريخ 17 جمادى الآخر 1253 / 19 سبتمبر 1837 ٠

(105) لطفى ، **المصدر السابق** ج ٠ 5 ، ص ٠ 85 وما يليها ٠ فقرة من التقرير الــذى سجــل اثــر المقابلة ، اما تاريخ هاته المقابلة ، راجع : جان سار **المصدر السابق** ، ص ٠ 187 ٠
يقول جان سار : إن المقابلة تمت بين رئيس الكتاب واللورد بنسنبى ، فى حين أن منصب رئاسة الكتاب اخذ اسم وزير الخارجية منذ سنة ونصف ولا شك أن سفير انقلترا قد تقابل مع عاكف افندى لكون وزير الخارجية رشيد باى لم يعد بعد من لندن ٠

(106) .H.H. , B.A رقم 2251 ؛ تحرير احمد توفيق باشا المؤرخ فى 27 جمادى الاولى 1253/ 30 اوت 1837 ٠

لم يمكث الاسطول العثماني كثيرا في سواحل شمال افريقيا، فقد زار جزيرة مالطة ، وفي أواسط سبتمبر 1837 ، أقلع متوجها الى استنبول (107) ، الا أن الاسطول الفرنسي ظل يقتفي أثره حتى مضيق الدردانيل •

ولما علم وزير الداخلية العثماني بهذا التعقب من رسالة أحمد فوزي باشا ، طلب ايضاحات من الاميرال روسين بواسطة مترجم السفارة ، بشأن ذلك العمل ، واعطائه التفسير المناسب (108) • وقد أجاب السفير على طلب عاكف باشا بقبوله تقصير الاميرال القائد للأسطول الفرنسي ، معلنا عن استيائه لفعلة الاميرال (109) •

انتهت محاولة الحاق تونس مباشرة تحت الادارة العثمانية لتأمين امكانية انقاذ الجزائر من الاحتلال الفرنسي ، بالفشل • ولم يقدم الباب العالي على التفكير بدعم أحمد باي من طرابلس الغرب بالطريق البري للدفاع عن قسنطينة في وجه الجيش الفرنسي القادم لاحتلالها • ذلك أن الشخصية ذات القابلية والمقدرة على القيام بذلك ، وهو طاهر باشا ، كان قد انتهت ولايته على طرابلس الغرب في مارس 1837 • ولم يكن ينتظر من الوالي الذي عين بدل طاهر باشا ، عزيمة كعزيمة سلفه (110) •

عمل أحمد باي على صد الحصار الفرنسي على قسنطينة ببطولة، ولكن العدو كان أكثر عددا مما كان عليه في السنة الماضية ، فلم يستطع أحمد باي أن يحول دون سقوط المدينة في 13 أكتوبر 1837 (111) • وكانت النتيجة أن احتلت فرنسا المنطقة الشرقية من الجزائر برمتها •

---

(107) جان سار ، **المصدر السابق** ، ص . 180 .

(108) H.H. , B.A. رقم 46842 .

(109) **نفس المصدر** H.H. رقم 46831 .

(110) **تقويم وقايع** ، رقم 144 . بتاريخ 5 ذي الحجة 1252 / 14 مارس 1837 . كان سبب سحب طاهر باشا من ولاية طرابلس الغرب هو شكاية حكومة فرنسا وانقلترا منه بسبب تصرفاته القاسية ، راجع : جان سار **المصدر السابق** ، ص . 186 .

(111) كان الجيش الفرنسي الزاحف على قسنطينة مؤلفا من 10.000 شخص بقيادة الجنرال دمرمن (Damrémont) الوالي العام للجزائر .
كان الدفاع عن المدينة جبارا ، فبعد ان فتحت المدافع الفرنسية ثغرة في الاسوار ، اشتبك الفرنسيون مع المدافعين في معركة مريرة بالشوارع . لقد كلف احتلال قسنطينة ثمنا باهضا. اذ قتل من قواتها مائة ضابط مع الجنوال دمرمن نفسه وألف جندي .
وعندما رأى احمد باي ، سقوط المدينة وهو يراقب الحصار من الخارج انسحب الى جبال أوراس في الجنوب ، راجع : جوليان ، **المصدر السابق** ، ص . 597 .

3 • — تأكيد الدولة العثمانية من جديد حقها فى الجزائر بعد احتلال فرنسا لقسنطينة فى أواخر سنة 1837

عندما وصل خبر احتلال قسنطينة الى استنبول ، أبلغ وزير الداخلية عاكف باشا لمترجم السفارة الفرنسية ، أسف الباب العالى ؛ ولتجنب البرودة بين الدولة العثمانية وفرنسا نتيجة فقدان آخر معقل للأتراك فى الجزائر ، جرب الاميرال روسين الاستفادة من عودة وزير الخارجية رشيد باى الى استنبول فى أواخر نوفمبر 1837 (112) ، فأرسل اليه كتاب التهنئة وفيه يشير السفير الى حادثة قسنطينة ويتمنى نسيانها فى القريب (113) •

وقبل أن يرد وزير الخارجية العثمانية على رسالة سفير فرنسا ، اعتبر الباب العالى استطلاع وجهة نظر اللورد بنسنبى ، ضروريا •

ولما سئل هذا الاخير ، رد بتعليمات مؤرخة فى 3 ديسمبر 1837 وأعطاها لمترجم السفارة ليبلغها الى الباب العالى • وفيها يرى أنه من المناسب « أن تؤخذ ضمانات بحقوق الباب العالى فى أول فرصة تسنح بذلك » مع تجنب التفوه بكلمات قد تغضب فرنسا (114) •

وفى تلك الاثناء سال مترجم السفارة الروسية ، رجال الدولة العثمانية ، هل وصلت تعليمات من الاميرال روسين بشأن قضية الجزائر أم لا ؟ واستغل الباب العالى مفاتحة المترجم فى موضوع قسنطينة ، مستفسرا ضمنيا عن رأى القائم بالاعمال الروسى بشأن الرسالة التى سيبعثها الباب العالى لسفير فرنسا • وقد لوحظ عند الرد أن ما ذهب اليه القائم بالاعمال ، مشابه لما اقترحه السفير الانقليزي (115) •

---

(112) من أجل عودة رشيد باى ، راجع : **تقويم وقايع** ، عدد . 157 بتاريخ 5 رمضان 1253 / 3 ديسمبر 1837 .

(113) H H. , B.A. رقم 47960 ؛ ترجمة رسالة السفير الفرنسى . **نشرت هاته الوثيقة فى** كتاب لطفى ، **المصدر السابق** ، ج . 5 ص . 78 .

(114) H. A. ، **المصدر السابق** ؛ صورة التعليمات التى أعطاها اللورد بنسنبى لمترجمه باللغة الفرنسية وقد نشرت ترجمة هاته التعليمات باللغة التركية وتوجد بين ملفات خط همايون : H. H. رقم 47960 ، الموجودة فى أرشيف رئاسة الوزراء .
كذلك لطفى ، **المصدر السابق** ، ج . 5 ، ص . 79 وما يليها .

(115) H.H. , B.A. رقم 47960 .

كان رشيد باى فى جوابه الذى كتبه الى السفير الفرنسى ، مو. ممثلى انقلترا وروسيا وكان يعبر للاميرال روسين عن امتنانـه للصداقة في السنة أبداها الاميرال فى رسالته ويشرح « أن اعتزاز الدولة العليـة جلي في حالـة اظهار الدولة الفرنسية دلائل حسنة ، تثبت بالفعل مسألة التزاماتها بتبعية الممالك التي تدعي فرنسا كل مرة أنها حق الدولة العثمانية » (116) .

كان أحمد باي والى قسنطينـة قد أخبر برسالة الى الباب العالى باستيـلاء الفرنسيين على المدينة وفى هاته الرسالـة المؤرخة فى 15 أكتوبر 1837 * كـان احمد بـاي يطلب المعونة ، واذا لم يتمكـن من ايصالهـا اليه ، فانـه يسترحم السلطان ، اذنا بالانسحاب لديـار المسلمين (117) . وعقب ذلـك كـرر والي قسنطينة السابق رجاءه فى رسالة أخرى (118) .

لم تجد أركان الباب العالى امكانية لمساعدة أحمد باى ، ولكن السلطان محمود الثانى لا يرى من الصواب ترك هذا الباى الذى أثبت ارتباطه بالدولة العثمانية ، والتخلي عنه وخذلـه بتلك الصورة ، وقـد أصدر السلطـان ارادة بالتحقيق فى القضية من جديد (119) .

وفى مجلس الشورى الذى عقد بالبـاب العالى وضم وزير البحريـة وفتحى باشا الذى عاد من سفارته بفينا،قرر ارسال أمر لباى تونس أحمد باشا (120) لمساعدة باي قسنطينة (121) .

لم يكن لهذا القرار نتيجة سوى اثلاج صدر السلطان ، ذلك أن باى تونس كان مجبورا على صداقة الفرنسيين ، الذين جاوروا ولايته ، فكان من الطبيعى أن لا يأخذ بنظر الاعتبار ، مساندة أحمد باي ، عدو فرنسا .

---

(116) **نفس المصدر** ، .H.H رقم 46903 مسودة الرسالة التى وجهت لسفير فرنسا .

(*) لقد نشرنا هاته الرسالة وهى باللغة التركية ضمن كتابنا ، بحوث ... **المصدر السابـق** . أود ان أشير هنا أن تلك الرسالة لم تكن موجهة باللغة التركية من أحمد باى الى الباب العالى ، ولكن حمدان بن عثمان خوجه الذى أصبح بمثابة الخبير لكل مشاكل طرابلس وتونس والجزائر ، هو الذى ترجم الاصل من عدة رسائل . ولمعرفة دور حمدان بن عثمان خوجة باستنبول راجع : أيضا كتابنا ، بحوث ... **المصدر السابق** ، **المعرب** .

(117) .H·H. , B.A رقم 47971 ؛ رسالة احمد باى المؤرخة فى 15 رجب 1253 / 16 أكتوبر 1837 .

(118) **نفس المصدر** ؛ رسالة احمد باى المؤرخة فى 19 شوال 1253 / 16 جانفى 1838 .

(119) **نفس المصدر** .H.H رقـم 47964 .

(120) اصبح احمد باشا واليا سنة 1837 اثر موت والده مصطفى باشا ، وقد عمل كثيرا لتقوية جيش تونس ، وتوفى سنة 1855 ، راجع : التر ، **المصدر السابق** ، ج . 11 . 170 وما يليها

(121) .H.H. , B.A رقـم 47962 .

النتيجــة
اعتــراف الدولــة العثمانيــة باحتــلال فرنسا للجــزائر
نظــرة عامــة للسياســة العثمانيــة

لم يكن لتأكيد الباب العالى حقوقه فى الجزائر فى أواخر سنة 1837 تأخير ٠ اذ دون مرور وقت طويل ، حولت الدولة العثمانية اهتمامها الى مصر ، اذ شغلت الاصطدامات المسلحة مع محمد علي باشا ، الدولة العثمانية سنتين ٠

وبعد أن حل هذا النزاع بتدخل الدول الاوروبية ، لم يتمكن الباب العالى من الاهتمام كثيرا بالقضية الجزائرية ، وبالرغم من سقوط قسنطينة ، فأن أحمد باي تابع جهاده ضــد الفرنسيين ، الا أنه لم يسترجع قدرتــه القديمــة ، وقد تحول اهتمام الفرنسيين الى الامير عبد القادر اذ أصبح المزعج الاصلى ٠ ولكن الامير الذى عاد وحمل السلاح ضد فرنسا سنة 1839 ، كان يعتمد على سلطان المغرب ولا يعترف بسلطة السلطان * العثمانى (1) ٠

ورغم ذلك لم يتخل الباب العالى عن شمال افريقيا ، وأخذت قضية تونس بالتدرج بعد قضية الجزائر ٠وفى الحقيقة، بعد محاولة الاسطول العثماني الاقتراب من المياه التونسية سنة 1836 ، اشتدت الرقابة بين الباب العالى وفرنسا ٠

لقد قطعت الحكومة العثمانية أملها فى استرداد الجزائر ، فحاولت أن تخضع ولاية تونس تحت نفوذها ، الا أنها لم تنجح ٠

وفى أول حولية نشرتها الدولة العثمانية سنة 1847 ، لم تكتب ولاية الجزائر فى جدول الولايات العثمانية ، وبذا يكون السلطان العثمانى قد ودع حقه بهذا

(*) لقد عثرنا على رسائل من الامير عبد القادر الى السلطان عبد المجيد وفيها يعترف الامير بخلافة السلطان وأنه (أى الامير) عبد من عبيده ، وأن الجزائر ارضه وملكه . راجع دراستنا : انطباعات ... **المصدر السابق . المعـرب .**

(1) توفى السلطان محمود الثانى فى جويلية 1839 عــن عمــر 54 سنة وخلفه ابنــه الاكبــر عبد المجيــد .

القطر . وفى نفس السنة استسلم الامير عبد القادر للفرنسيين . وفى السنة التى تلتها ترك أحمد باى المقاومة .

لقد ارتأت الدولة العثمانية فى البداية الوقوف على الحياد . ظنا منها أن أوجاق الجزائر ، قادر على صد العدوان الفرنسى ، ولكنها عملت فقط لمنع تدخل والي مصر ، وقد نجح الباب العالى فى ذلك . الا أنه أخبر بعد قليل بدخول الفرنسيين مدينة الجزائر .

لقد بذلت الدولة العثمانية مساعى سياسية فى استنبول أولا ، ثم فى أوروبا لاسترداد تلك الولاية القديمة من فرنسا ، التى حاولت احتلال المناطق الداخلية أيضا .

سعى الباب العالى لتأمين مساعدة انقلترا طيلة استمرار القضية الجزائرية ، وكان مشغوفا بكسب مشاعر النمسا وروسيا ، ولكن لم تؤد هذه المبادرات الى أى نتيجة ، ذلك أن الدول الاوروبية قبلت سياسة الامر الواقع الفرنسية ، باستقرارها فى الجزائر .

وعندما استتب الامر للباب العالى ، بعد اخماد ثورة والي مصر الاول ، جرب استعمال القوة لانقاذ الجزائر . ورغب فى ارسال الاسطول الى تونس مرتين بقصد مساندة باى قسنطينة المجاهد ضد فرنسا، الا أنه لم يوفق . وفى النهاية اعترفت الدولة العثمانية بفقدان الجزائر .

كانت هاته النتيجة ، ضرورية تحتمها السياسة الاستراتيجية ، اذ أن الجزائر تقع تجاه فرنسا ، وكانت المسافة التى تفصلها عن الاناضول بعيدة جدا ، اذا قيست بالمسافة التى تفصل الجزائر عن فرنسا ؛ وكان من الطبيعي أن تحتل فرنسا ذات الاسطول القوى ، الجزائر التى تعيش فى وضعية داخلية تساعد على ذلك ؛ أما ذود الدولة العثمانية عنها فكان مستحيلا ، خاصة بعد فقدان أسطولها فى معركة نافارين .

ان الكسب الوحيد الذى ربحه الباب العالى من السياسة التى انتهجها فى الجزائر ، هو أخذه ولاية طرابلس الغرب ووضعها تحت حكمه المباشر ، وبالرغم من استيلاء فرنسا على تونس سنة 1881 ، فان ولاية طرابلس الغرب ، بقيت مرتبطة بالمركز تحت الادارة العثمانية حتى سنة 1912 * .

(*) الحق المؤلف فى آخر كتابه ، خريطة بسيطة ، راسما أسماء بعض المدن فى حوض البحر الابيض المتوسط ؛ وقد فضلنا حذفها ، اعتقادا منا ، أنها على ذلك الشكل لا تضيف شيئا الى البحث . **المعرب** .

أحمد باى قسنطينة المدافع عن الجزائر (*)

فى أول سنوات سلطنة سليمان القانونى ، ألحقت الجزائر الى الامبراطورية العثمانية بواسطة بحار تركى اسمه خـزر رايس (Hizir Reis) والذى اشتهر فيما بعد باسم بربروس خير الدين باشا ، وأصبحت تشكل بلاد الجزائر إيالة لما وراء البحار تابعة لوزارة البحرية • وبفضل تشكيلات الاوجاق التـى أنشأها المتطوعون الاتراك القادمون من الأناضول والروم إيلى (Rumeli) واستطاعوا أن يديروا أهالى تلك البلاد الاكثر منهم عددا ، بنجاح • وكانت قوات الجزائر البحرية مع قوات تونس وطـرابلس الغرب ، تشكل قسما مـن الاسطول العثمانى •

ولكن قوة أوروبا فى القرن الثامن عشر، تسببت فى اضعاف عملية القرصنة التى تعتبر المورد الرئيسى للأوجاق ، كما أصبحت نتيجة لذلك سببا لضعف ايالة الجزائر •

(*) نص الدراسة التى تقدم بها الاستاذ أرجمند كوران مؤلف هذا الكتاب الى المؤتمر التاريخى الخامس الذى انعقد بأنقره ما بين 12 و 17 أفريل 1956 :

Cezairi garb mudafü, Kostantine beyi Ahmed Bey, : V. Türk Tarih Kongresi, Ankara 12-17 nisan 1956, pp. 686-189 Ankara, 1960.

ونظرا لاعادة طبع رسالة الاستاذ أرجمند كوران ، رأينا اضافة هاته الدراسة كملحق ، خصوصا وأن موضوعها يكمل الرسالة .

وليسمح لنا هنا بالتذكير أن شخصية الحاج أحمد باى قسنطينة ، التى هى اليوم مجهولة وغير معروفة ، تعد فى نظرنا أكبر وأبرز الشخصيات المغربية للعقد الرابع من القرن الماضى وأن دوره فى الدفاع عن البلاد كان مشرفا ولا تشوبه أى شائبة ، وأنه من المؤسف حقا ومـن غير العـدل أن لا يـوجـد بـالجزائـر عمومـا وولايـة قسنطينـة أى معهـد أو متحف أوغيـرهمـا يحمل اسمـه ، تخليدا لذكراه للدور الطلائعى الرائد الذى لعبه على الارض الجزائرية ، فى حين نرى عددا ضخما من الشوارع تحمل أسماء الجنرالات الفرنسيين الذى حاربوه وتفننوا فى القضاء عليه ؛ وهذا هو السبب الذى حدا بى الى الاهتمام بشخصه وبكفاحه حيث خصصنا احد الأجزاء الثلاثة للرسالة الجامعية التى تقدمنا بها لنيل درجة دكتورا الدولة، الى دراسة هاته الفترة التاريخية تحت عنوان : **الحاج احمد باى قسنطينة وتاريخ ولاية الجزائر الشرقية من 1830 الى 1837** ، مؤملا أن يرى هذا المخطوط الذى وضعناه بالفرنسية والعربية النور ، وليعمل على احلال الحاج أحمد باى المكانة التاريخية التى يستحقها وتصحيح الأخطاء الشائعة اليوم والتى لم تدع لنـا مجالا لاعمال الـراى والتجرد مـن العـواطـف وانصاف ابطالنا . **المعـرب** .

وقد صمدت مدينة الجزائر لعدة هجمات الا أنها احتلت من قبل الفرنسيين في جويلية 1830 · ان الدولة العثمانية التى فقدت أسطولها فى معركة نافارين (Navarin) قبل ثلاث سنوات ، لا تستطيع أن تتدخل ضد الهجوم الفرنسى · على أن سقوط الجزائر العاصمة ومغادرة الداى البلاد ، استسلاما للفرنسيين يدلان على أن الايالة ستفقد بعد زمن قليل ·

فبعدما استولى الفرنسيون على مدينة الجزائر ، أخذوا يتوغلون داخل البلاد في حين استحال على الدولة العثمانية أن تدافع عن حقوقها فى افريقيا الشمالية لانشغالها بمشاكلها الداخلية وخاصة انتفاضة والى مصر محمد على باشا ، ومع ذلك لم يكن من السهل على فرنسا التى تفكر فى الحصول على مستعمرة ، أن تسيطر على البلاد الجزائرية بسهولة ، هذا وقد اصطدمت بمقاومة الأمير عبد القادر من شيوخ المنطقة الغربية وأحمد باى قسنطينة ، باى المنطقة الشرقية ، وقد اشتهر الأمير عبد القادر أكثر من أحمد باى فى الشرق والغرب، وقد شغلا الفرنسيين سنوات طويلة وسببا لفرنسا خسارة كبيرة في الاموال والارواح · وقد عرف الامير عبد القادر كمجاهد كبير فى العالم الاسلامى ، وكان فى الحقيقة معاديا للأتراك · حيث عرض تبعيته لسلطان المغرب وليس للدولة العثمانية ، وقد أراد الالتجاء الى الاراضى العثمانية في سنة 1847 عندما كف عن الكفاح ، وقصدها بعد ثلاث سنوات ·

وأما أحمد باى ، فقد استمر مواليا للدولة العثمانية وكافح الفرنسيين كممثل لحكومة شرعية فى هذه البلاد القصية · إن أحمد باى هو أكثر أهمية من الأمير عبد القادر من وجهة تاريخنا القومى ، ومع هذا نلاحظ قلة المعلومات فيما يخصه · وقد استنسخ لطفى أفندى ، مؤرخ هذا العهد بعض المعلومات القصيرة عن أحمد باى ومنطقة قسنطينة التى ذكرها فى تاريخه ، (ج ، 5 ، ص · 75 وما يليها) وثيقة محفوظة في أرشيف الوزارة الأولى · على أن مصطفى نورى يخلط فى كتابه « نتائج الوقوعات » (الطبعة الثانية ، ج ، 4 ، ص · 84) بين أحمد باى والامير عبد القادر ، حيث يرى أن هذا الاخير قد نشأ فى قسنطينة · وأما المرحوم عزيز سميح التر (Aziz Samih Ilter) يتحدث فى كتابه : **الأتراك فى افريقيا الشمالية** (Šimali Afrikada Türkler) (ج ، 2 ، ص · III ، وما يليها) عن نشأة أحمد باي ويعد انجازاته الاخيرة خارجة عن نطاق موضوع كتابه · أما فى كتاب على رضا باشا « **مرآة الجزائر** » فتوجد أكثر المعلومات بشأن باى قسنطينة ، غير أن الخرافات والأخطاء قد احتلت قسما كبيرا منه ·

ونتيجة لابحاث وتحريات مارسيل امرى (Marcel Emerit) ، مـن أساتذة الجزائر ، في السنوات الأخيرة ، توضحت قليلا شخصية ونشأة أحمـد باى غير أن الوثائق التى عثرنا عليها فى أرشيف الوزارة الأولى باستنبول تمكن من فهم علاقة باى قسنطينة مع الدولة العثمانية ، فهما حسنا ، ورسائل أحمد باى الى الباب العالى ، محفوظة برئاسة الوزراء وقد حررت باللغة العربية • وتوجد ترجمتها التركية ، وقد استفدنا من ترجمتها •

نعلم من مذكرات أحمد باى التى عثر عليها الاستاذ أمرى فى أرشيف الدولة الفرنسية والتى نشرت بالمجلة الافريقية (ج ، 93 ، ص • 124) (1) ، أنه ولد في قسنطينة • وكانت هذه المدينة مركزا للبايلك الشرقى ، ومن المرجح أن يكون تاريخ ولادة أحمد باى سنة 1780 ، ذلك أن الاستاذ أمرى ذكر في وثيقة نشرها في كتابه « **الجزائر في عهـد عبد القادر** » (2) أن باى قسنطينة كان عمره أربع وخمسين فى سنة 1834 •

ويذكر الاستاذ أمرى فى المقدمة التى كتبها لمذكرات احمد باى ، أن جد أحمد باى كان بايا تركيا واسمه أحمد الكولى (ص • 66) • وفى رسالة أرسلهـا الأستاذ أمرى إلينا ، بين أن أحمد الكولى الذى تولى بايلك قسنطينة (1756 ــ 1771) هو مـن مدينة كولو (Collo) ورأينا أن هاتـه المدينـة ليست مدينة كولو على ساحل الجزائر الغربـى ويمكن ان تكـون مدينة كولـة (Kula) فى الاناضول الغربى •ولا يمكن أن يشك فى تركية أحمد باى ، لانه كان من المستحيل أن يقلد تركى المناصب العليا بالاوجاق ، اذا لم يأت من الوطن الأم •

وسوف نرى بعد قليل أن باى قسنطينة الأخير أحمد يعد المستثنى الوحيد ، فهو كراغلـي (Kuloğlü أى ابـن العبد) حيث كانت أمه من أصـــل جزائرى ، ومن سنن الأوجاق ان الكراغلة لا يقلدون مناصب البايلك ، ولذلك بذل أحمد باى جهدا كبيرا لتعيينه بايا على قسنطينة سنة 1826 •

هب والى قسنطينة الجديد للدفاع عن مدينة الجزائر مع قوات الفرسان التى تصحبه مشتركا فى الحرب ضد الفرنسيين سنة 1830 نزولا عند أمر الوالى حسين باشا • كان أحمد باى يرى من المناسب الانسحاب الى الخلف كى لا يعطى

(1) Les mémoirs d'Ahmed Bey de Constantine, t. XCLIII p. 124.

(2) EMERIT, M, *L'Algérie à l'époque d'Abdelkader*, p. 256, Paris, 1951.

للجيش الفرنسي الذى سينزل الى البر ، فرصة لحرب الميدان وان يهجم على العدو من الخلف ؛ ولكن هذه الخطة لم تقبل من قبل القائم العام صهر الوالى ٠

اما القوات الفرنسية فقد استطاعت أن تنزل الى البر بسهولة فى سيدى فرج ، الواقع غرب مدينة الجزائر بعشرين كيلو متر ، بعد أن قضت على مقاومة الجيش الجزائرى المكون من الأتراك والعسكر المحلى ٠ ووقعت المعركة التى قررت مصير مدينة الجزائر فى آسطا والى ، أما أحمد باى فقاد الجناح الأيسر للجيش الجزائرى فى هذه المعركة ، وقوى انهزام الجزائريين ، احتمالات فتح مدينة الجزائر من قبل الفرنسيين ، علم أنه اثر سقوط قلعة السلطان المدافعة عن المدينة ، دخل الفرنسيون المدينة ، وازاء هذا الوضع لم يعد لأحمد باى وسيلة أخرى غير الانسحاب مع الملتحقين به الى قسنطينة ٠

وبعد ذلك بقليل قوبل والى قسنطينة باقتراح القائد العام الفرنسى بالجزائر القاضى بالاعتراف بأنه باى فى حالة قبوله الحكم الفرنسى وتعهده بدفع الضريبة ٠ وبعد أخذ أحمد باى رأى أشراف المدينة ، أجاب بالرفض واعلن انه يريد ان يحكم البلاد باسم السلطان فقط ، ولهذا الغرض راجع الدولة العلية وقرر أن يعرض تبعيته لها ٠ ان العريضة التى أرسلها أحمد باى مع محضر اشراف المدينة تحمل تاريخ جمادى الأول 1249 / 16 أيلول ــ سبتمبر 1833، وهى موجودة بملف 78 المتعلق باحتلال الجزائر وتونس بأرشيف رئاسة الوزراء ٠

وقد استسلم أحمد باى بعد أربع شهور من الباب العالى ردا على رسالته وفيها ينصح هذا الأخير أحمد باى بأن لا يتحول عن تبعيته للسلطان ، وهكذا بدأت المراسلة بين باى قسنطينة والدولة العلية واستمرت عن طريق قائد البحرية طاهر باشا ؛ غير أن الدولة العثمانية كانت تتوقع نجاح السفير مصطفى رشيد باشا فى مهمته حيث أرسل الى باريس للتداول مع الحكومة الفرنسية لاستعادة الجزائر ٠

وعليه فلم يقم الباب العالى بغير تشجيع أحمد باى عندما أرسل اليه رسالة مساندة فقط ، ومع ذلك فان سفارة رشيد باى فى باريس لم تجد نفعا ٠ كما أوضح ذلك الاستاذ المحترم جاويد بيسون (Cavid Baysun) فى مقال نشر له بعنوان : قضية الجزائر وسفارة رشيد باشا فى باريس ، والذى قدمه فى المؤتمر التاريخى التركى الثالث ٠

وأرسل أحمد باى عريضة ثانية بتاريخ 17 جويلية للباب العالى واسترحم توجيه رتبة أمير الأمراء له وأضاف الى هاته الرسالة الموجودة بخط همايون 47971 ، برئاسة الوزراء تقريرا جديدا لأشراف قسنطينة ، وترتب عن ذلك ارسال محمد كامل باى الى قسنطينة فى مارس 1836 للتدقيق ودراسة وضعية البايلك • وقد أقام محمد كامل عشرة أيام ثم عاد الى استنبول عن طريق تونس • وقد تقدم أحمد باى عن طريق محمد كامل بطلب توجيه رتبة له والعمل على استرداد ميناء عنابة من الفرنسيين مقابل مبلغ من المال ، ذلك أنه بفضل هذا الميناء يستطيع أحمد باى أن يتحصل على اللوازم التى يحتاجها •

لم يتحصل والى قسنطينة على رتبة أمير الأمراء من الباب العالى ، بسبب المسعى الذى قام به السفير الفرنسى فى استنبول لدى رجال الدولة العثمانيين ولم يتردد السفير فى الاعلان أن توجيه رتبة الباشا الى باى قسنطينة سيعتبر إعلان حرب على فرنسا •

ومع ذلك صك أحمد باى العملة باسم السلطان واستعمل لقب الباشا حيث كان مهره الذى يمضى به رسائله الى السلطان يحمل كنية الحاج أحمد باى ابن محمد ثم كنية الحاج أحمد باشا ابن محمد • اما الدولة العلية فقامت بمسعى أكثر شمولا بشأن استرداد عنابة من فرنسا ، وحسب التعليمات التى تسلمها من الباب العالى ، طلب نورى أفندى الذى عين سفيرا بباريس بدل رشيد باى ، من فرنسا استرداد الجزائر الى حضيرة الباب العالى ، الا أن نشاط السفير الجديد لم يعط أية نتيجة ؛ وفهم أن الحكومة الفرنسية لم تكون تنوى الانسحاب قطعيا من الجزائر ، بل على العكس كانت تخطط لاحتلال البلاد كلها •

وفى صيف 1835 أنهت الدولة العثمانية حكم سلالة القرمانلى بطرابلس الغرب سياسة الامر الواقع وربطت الايالة اثرها بالمركز مباشرة ، مما اضطر فرنسا الى التصرف بفعالية أكثر فى شمال افريقيا ، وبالفعل توجه جيش فرنسى قوامه 7400 شخصا بقيادة المرشال كلوزال (Cauzel) الوالى العام بالجزائر لفتح قسنطينة فى نوفمبر 1836 وقد وصل الى أبواب المدينة •

يحيط بمدينة قسنطينة واد عميق وصخور صلبة من ثلاث جهات وترتبط من الجنوب الغربى فقط بالأراضى السهلة • وكان أحمد باى قد ترك قوات المشاة فى المدينة وبقى خارجها على رأس قوات الفرسان • وبذلك يكون الجيش الفرنسى المحاصر للمدينة قد ضيق عليه بين نارين • ضرب الفرنسيون المدينة طوال يومين ، غير أن الجيش عجز عن الحصول

على نتيجة ازاء مدافعة القسنطينيين الشديدة،أجبر على رفع الحصار والانسحاب في اتجاه عنابة • وقد أوقعت هجمات أحمد باى وشدة الشتاء الذى ابتدأ مبكرا ، خسائر جسيمة بالجيش الفرنسى •

واثر هذا الفشل ، عزل المرشال كلوزال . ولكن أحمد باى كان يتوقع أن فرنسا ستستعد لحملة جديدة على قسنطينة ، فعمل على تقوية الترتيبات الدفاعية وكان يشعر بوجوب طلب المساعدة من الدولة العثمانية كما توحى به رسالته المؤرخة فى 1 جمادى الاولى 1253 / 3 أوت 1837 والتى أرسلها الى طاهر باشا بعد ان نقل هذا الاخير من وزارة الحربية الى ولاية طرابلس الغرب وهى محفوظة بأرشيف رئاسة الوزراء خط همايون 22454 •

كانت الدولة العثمانية أيضا تعمل ما بوسعها بقصد الحفاظ على حقوقها فى شمال افريقيا ؛ وفى شهر ماى 1836 ، غادر أسطول عثمانى استنابول متوجها الى تونس ، غير أنه لم يتمكن ازاء المعارضة الفرنسية القطعية من أن يجتاز طرابلس الغرب ، وهكذا لم تتحقق رغبة الباب العالى بربط ولاية تونس مباشرة بالمركز كشأن طرابلس الغرب ؛ ومع هذا لم يخب ظن أحمد باى بخصوص حملة الفرنسيين على قسنطينة من جديد ، وبالفعل بعد أن عقدت الحكومة الفرنسية الصلح مع الأمير عبد القادر ، أصبحت طليقة فى المنطقة الغربية وبدأت اثرها تستعد لحملة ضد قسنطينة وفى أوائل أكتوبر 1837 قاد الجنرال دمرمن (Damrémont) ، والى الجزائر العام جيشا قوامه 10.000 شخص ، وقد حاول أحمد باى أن يطبق ثانية خطة حرب السنة الماضية ، بيد أن الفرنسيين هذه المرة ركزوا نار مدافعهم على نقطة واحدة وهى الاسوار الواقعة فى الجنوب الغربى ؛ ومن الثغرات التى فتحت هناك دخلت القوات الفرنسية الى قسنطينة ، وبعد حرب شوارع حامية احتلت المدينة بتاريخ 13 اكتوبر 1837 ومات أثناء المعركة الجنرال دمرمن اثر إصابته•

وعلى اثر ضياع قسنطينة انسحب أحمد باى الى جبال الأوراس الواقعة فى الجنوب •

وفى الرسائل التى أرسلها الى الباب العالى ، كان أحمد باى يوضح بلسان كله ألم وأسى ، سقوط قسنطينة ويطلب بالحاح مساعدة الدولة العثمانية له لانقاذ المدينة • وفى هذه الرسائل الموجودة بين ملفات خط همايون رسم 4797 فى أرشيف رئاسة الوزراء ، يقترح باى قسنطينة السابق ، أخذه الى الأراضى العثمانية اذا استحالت مساعدته ؛ وقد اهتم السلطان محمود الثانى شخصيا بمصير أحمد باى ، وبناء على ارادة السلطان ، عقدت اجتماعات

كثيرة فى الباب العالى من أجل هاته القضية ، ولوحظ انه من المناسب ، أن يصل باى قسنطينة السابق الى طرابلس الغرب ٠

وقد قبل احمد باى دعوة الدولة العثمانية ٠ غير أنه لم يتمكن من مغادرة وطنه بأى شكل من الاشكال ؛ على أن أحمد باى لا يذكر فى مذكراته هذه القضية ، ومن المحتمل جدا أن يكون قد توجس خيفة من مؤامرة من باى تونس المتفق مع فرنسا ؛ ومما يؤيد وجهة نظرنا وجود رسالة لاحمد باى مؤرخة 16 رمضان 1254 / 3 ديسمبر 1838 ، محفوظة بأرشيف رئاسة الوزراء خط همايون 22418 ، يسترحم فيها باى قسنطينة السابق من وزير البحرية العثمانى منحه الاذن بالمرور بتونس ، متوجها الى طرابلس الغرب ، ولكن اثر ذلك وجهت عدة رسائل الى والى تونس لتأمين سلامة الطريق لأحمد باى ، أثناء عبوره الأراضى التونسية ٠

وقد تابع أحمد باى الجهاد ضد الفرنسيين بعد ضياع قسنطينة ، على أن القوات التى كانت بمعيته أخذت تتضاءل يوما بعد يوم ، وأخيرا استسلم أحمد باى فى جوان 1848 شريطة السماح له بالذهاب الى بلد مسلم ٠ وكان الامير عبد القادر قد ترك السلاح قبل ذلك بستة شهور ، ولم ينجز الفرنسيون وعدهم وأجبروا أحمد باى على الاقامة فى مدينة الجزائر الى أن توفى سنة 1850 وهو فى سن السبعين وقبره موجود فى حديقة زاوية سيدى عبد الرحمان الموجودة فى القسم القديم من المدينة ٠

* * *

كان أحمد باى جنديا ممتازا وتبين خطته الحربية التى خططها لمواجهة الفرنسيين القادمين لاحتلال مدينة الجزائر ، قابليته العسكرية ، ولو طبقت هذه الخطة لكان من الممكن رمى الجيش الفرنسى الى البحر ؛ كذلك النظام الذى سنه للدفاع عن قسنطينة فى منتهى الدقة الحربية ، وسقطت المدينة بسبب تفوق المحاصرين عددا أثناء الحملة الثانية ٠

وعدا ذلك ، كان أحمد باى اداريا ذا دراية ، ووقوفه تماما على عادات الأهالى عامل كبير فى اداء مهام الولاية بلياقة ٠ ولتأمين حكمه ، اهتم بتأسيس علاقات قربى مع عائلات البلاد ذات النفوذ ٠

كان أحمد باى قسنطينة شخصية قوية وشديدة ، وقد شرح على رضا باشا فى كتابه المار الذكر ، كيف أن أحمد باى أعدم رؤساء القبائل المتأهبة لخيانته ذات ليلة على وشك السحر « **مرآة الجزائر** » ص ٠ 105 ؛ ومع هذا ، علينا أن نبين ان أحمد باى لم ينحرف عن العدالة ، ولم يكن يترك امكانية للجور بجمع

الضرائب : وعقب استسلامه للفرنسيين ، أظهر شعب مدينة قسنطينة لبايه القديم تقربا ، أثناء مروره منها للتوجه الى الجزائر ، وقدم بعض الاشخاص لهـذا السبب ، الى ديوان الحـرب لمحاكمتهم ، مما يـؤكد درجة ميـل أهـل قسنطينة لـه ٠

وقبل أن ننهى دراستنا ، نتساءل ، لماذا لم ينجح أحمد باى قدر نجاح الامير عبد القادر ؟ ٠

وحسب اعتقادنا هو أن احمد باى قسنطينة يمثل الادارة التركية القديمة وصمد فى جميع اجراءاته بصورة موفقة ، فى حين كـان الامير عبـد القـادر رئيسا دينيـا ٠

وفى بلاد الجزائر التى راجت فيها الاعتقادات الباطلة منذ العصور الوسطى لا ريب أن شخصا متصوفا يمكنه ان يخلق تأثيرا أكثر من قائد يستند على مجرد القوة مثل أحمد باى ٠ كذلك كان الأمير عبد القادر يستلم مساعدات من سلطان المغرب لمدة طويلة،ويجب أن يؤخذ بالاعتبار عدم حصول باى قسنطينة على أية مساعدة من الدولة العثمانية ٠ ومن الطبيعى جدا ، وفى مثل هذه الظروف ان لا يحقق أحمد باى ما حققه الامير عبد القادر ٠

المصـــــادر

1 • ـ الوثائق التى لم تنشر بعـد :

Bašvekâlet Aršivi : (ارشيف رئاسة الوزراء باستنبول)
Divan-i humâyun ecnebi defteri N° 29/4 ; Fransa devletiyle akdolunan ahidnameler ile nišan defteri, 1153-1324.
Divan-i humâyun mühimme defteri N° 246.
Dosya N° 78, Haricî mesaili siyasiyye ; Fransa, 1-2, Tunus ve Cezayirin Išgali...
Hatti humâyunlar (Vesika numalari metin altin daki notlarda gosterilmištir) لقد ذكرت أرقام الوثائق فى حواشى الكتاب
Namı humâyun defteri, N° 11
Hariciye Vekâleti Aršivi : (ارشيف وزارة الخارجية باستنبول)
Dosya N° 708 ; Cezayrin Fransa tarafindan išgali Mesaili siyasiyye

2 • ـ الوثائق التى نشرت :

ALTUNDAG, šinasi, Mehmet Ali isyaninda yardim talebinde bulunmak üzere 1832 tarihinde Namik Pašanin hususî elçi olarak Londra'ya gönderilmeši, (Tarih Vesikalari ; Istanbul, 1941..., c. II. III)
BAYSUN, Cavid, Mustafa Rešid Pašanin Paris ve Londra sefaretleri esnasindaki siyasî yazlari (Tarih Vesikalari c. I. III.)
DOUIN. Commandant Gorges, Mohamed Aly et l'expédition d'Alger, 1829-1830 ; Le Caire, 1930.
KURAN, Ercümens, La lettre du dernier Dey d'Alger au grand Vizir de l'Empire Ottoman, (Revue Africaine ; c XC VI, Alger 1952).
Muahedat Mecmuaci, Istanbul, 1294,... c. I.
TESTA, Baron I. Recueil des traités de la porte ottomane avec les puissances étrangères, 1864..., c. I.

3 • ـ المصـادر :

ALI RIZA Paša, Mirat-ul-Cezayir ; ترجمـة , Ali ševki, Istanbul, 1293-1878
ALTUNDAG, Dr šinasi, Kavalale Mehmed Ali Paša isyani Misir meselesi, 1831-1841 ; Ankara. 1945..., c. I.
BAYSUN, Cavid, Cezayir meselesi ve Rešid Pašanin elçiliği (III. Turk Tarih Kongreye sunulan tebligler ; Ankara 1948) من الدراسات التى قدمت للمؤتمر

BAYSUN, Cavid, Mustafa Rešid Tanzimat ; Istanbul 1940... cl.
BOURGEOIS, Emile, Manuel historique de politique étrangère ; 9 Tabi الطبعة التاسعة Paris 1931-1933. c I. III.
CHARLES-ROUX, F. France et Afrique du Nord avant 1830 , Paris. 1932.
DRIAULT, E. La question d'Orient ; 8 tabi, الطبعة الثامنة , Paris 1921.
EMERIT, Marcel, Les rémoires d'Ahmed, dernier Bey de Constantine. Revue Africain, c. x CIII, 1949.
ESQUER, Gabriel, Les commencements d'un Empire la Prise d'Alger 1830, yeni tabi : الطبعة الجديدة Paris. 1929.
ESQUER, Gabriel, Histoire de l'Algérie, Paris 1950.
EZGU, Fuad, Karamanli maddesi, Islam Ansiklopedisi: Istanbul 1941.. cVI.
GRAMMONT, H.D. d'Histoire d'Alger sous la domination turque 1915-1830, Paris 1887.
HAMMER J. de, Histoire de l'Empire Ottoman. terc : ترجمة J. HELLERT, Paris, 1835-1843. cV. VI. ve Devlet osmaniyye tarihi, terc. Mefmed Atâ ; Istanbul, 1932... c.V-VI.
ILTER, Aziz šamih, Šimali Afrikada Turkler ; Istanbul, 1936-1937 c.I.II.
INALCIK, Halil, Husrev Paša, maddesi. c. V.
JULIEN, Charles-André, Histoire de l'Afrique du Nord, Paris 1931.
KARAL, Enver ziya, Mehmed Namik Pašanin hal tercumesi. (Tarih Veskalari, c. II).
KURAN, Ercümens, Frasan'in cezayir'e tecavuzu, 1827 (Istanbul Universitesi Edebiyat Fakultesi, Tarih Dergisi, c. III Istanbul, 1953).
LE MARCHAND. L'Europe et la conquête d'Alger, Paris, 1913.
MEHMFD SUREYYA, Sicilli Osmanî. Istanbul, 1308 ; c. I. IV.
LUTFI. Ahmed, Tarih ; Istanbul, 1290-1308, C.I.V.
MEHMED ŠEM'I, Ilâveli Esmar ul-tevârih ma'azel ; Istanbul, tarihsiz. بدون تاريخ .
MUSTAFA NURI PAŠA, Netâyic-ul-Vuku'at : 2 tabi : الطبعة الثانية Istanbul, 1327. c.I.
PURYEAR, Vernon John, France and the Levant from the Bourbon Restoration te the peace of Kutiah ; Berkeley-los-Angeles, 1941.
RESMI, Ahmed, SULEIMAN FAIK, Halifet urruesa ve zeyli; Istanbul, 1269.
SERRES, Jean, La politique turque en Afrique du Nord sous la monarchie de Juillet ; Paris 1925.
TUKIN, cemal, Osmali Imparatorluğu devrinde Boğazlar Meselesi ; Istanbul, 1947.
YORGA, Osmanli tarihi, terc. B. Sitki Baykal, Ankara, 1948 c. V.
YVER, 6 « Abd-al-Kader » maddesi (Encyclopédie de l'Islam, Leiden-Paris, 1913-1938 ; c. I veya Islam Ansiklopédirt ; c. I.
IVER, 6 « Dey (Daylar) » maddesi (Encyclopedie de l'Islam, c.I. Veya Isam Ansiklopedisi, c. III.

4 • ـ الجرائد : تقويم وقايع مجموعات السنوات التالية :

ـ 1837/1253 ـ 1836/1252 ـ 1834/1250 ـ 1831/1247

فهـــرس الاعـــلام والقبـــابـل والجمـاعـات

(*) وضع المؤلف فهرسا مشتركا للاعلام والاماكن والوظائف الادارية ، وقد فضلنا فصلها تسهيلا للقارىء عند المراجعة وتماشيا مع متطلبات البحث العلمى ؛ كما أننا وضعنا حرف (ت) لنشير بذلك إلى أسماء الاعلام أو الأماكن أو الجماعات التى توجد بالتعاليق . أما أسماء الاعلام التى لم يصرح بأسمائها ، غير أن النص يشير إليها فقد عملنا على إثباتها بأماكنها .
كما أننا حذفنا الكلمات التالية من الفهارس وذلك للعثور عليها باستمرار فى كل صفحات الكتاب: الباب العالى ، الجزائر ، أوجاق الجزائر ، فرنسا ، الدولة العثمانية ، السلطان . **العرب** .

فهـــرس الأمـــاكـــن الجغـــرافيـــة

فهرس الوظائف وبعض الأسماء الأخرى

المحتوى

انتهى طبع هذا الكتاب
في شهر ماي 1974 بمطبعة
الشركة التونسية لفنون الرسم
20 نهج المنجي سليم – تونس

PROF. ERCÜMEND KURAN

La Politique Ottomane

Face

à l'occupation Française de l'Algérie

(1827 - 1847)

Suivie

d'une étude sur Hadj Ahmed Bey de

Constantine

2eme Edition

Traduit du Turc par

ABDELJELIL TEMIMI

TUNIS

PROF. ERCÜMEND KURAN

La Politique Ottomane

Face

à l'occupation Française de l'Algérie

(1827 - 1847)

Suivie

d'une étude sur Hadj Ahmed Bey de

Constantine

2eme Edition

Traduit du Turc par

ABDELJELIL TEMIMI

TUNIS

PRIX : 0,800 DT